الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المثل الشعبي القسنطيني وبنياته اللغوية

مقاربة سوسيو لسانية

-دراسة في نماذج مختارة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبة:
غرزولي سلمى

إشراف الأستاذة:
ظريفة ياسة

السنة الجامعية 2022-2023

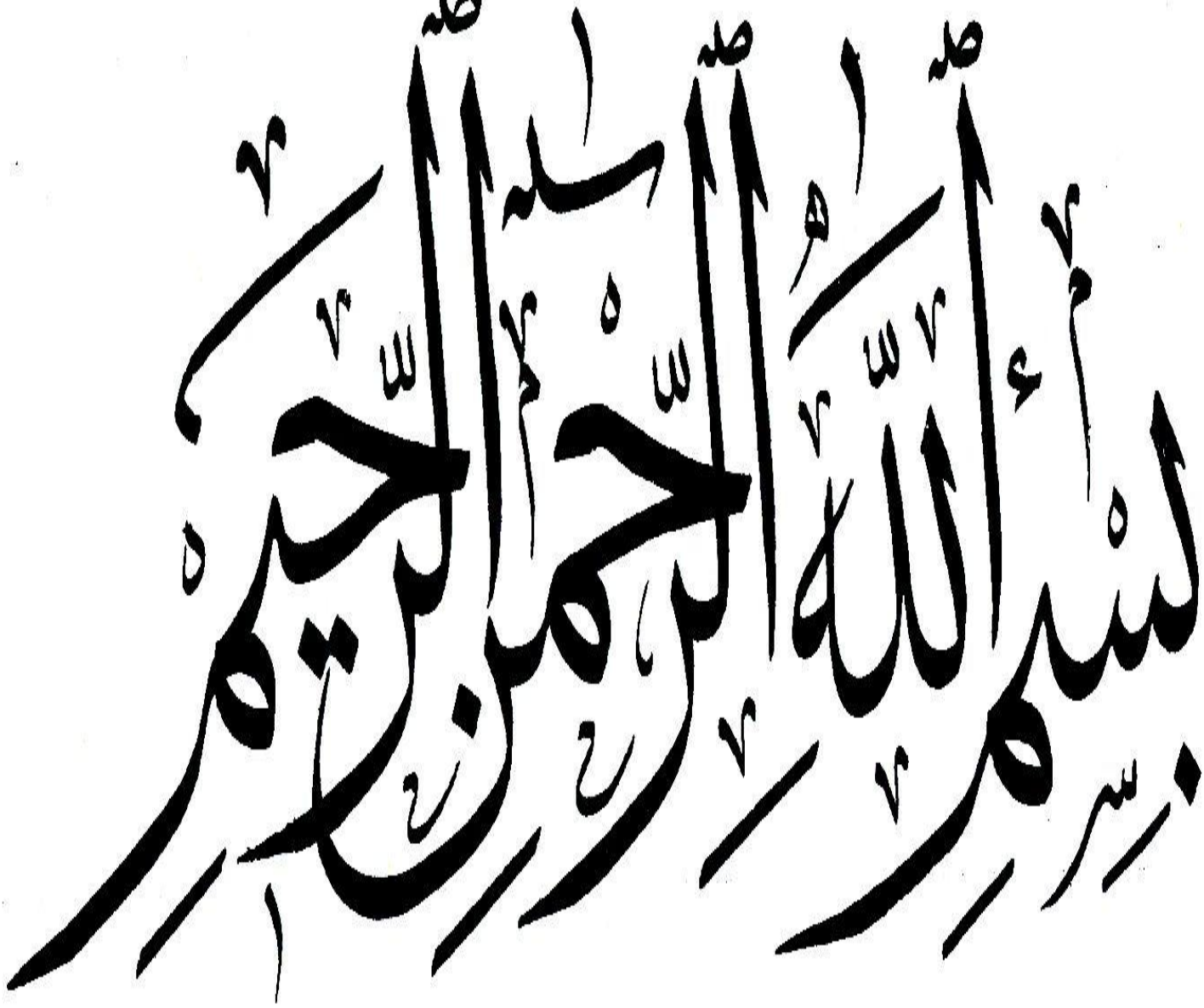
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

إلى والدتي الرؤوم التي بدعائها اهتديتُ

إلى والدي الحنون الذي كافح من أجل أن أبلغ هذا المقام المحمود.

إلى عائلتي الثانية التي زرقني الله خيرا بها أمي، أبي، وزوجي ورفيقة دربي في مسيرة حياتي الجديدة "تقوى."

إلى أفراد أسرتي إخواني وأخواتي وكلّ من اتّصل بهم.

إلى كلّ من علّمني حرفا لأمسيَ له عبدا أساتذتي الأجلّاء كلّ باسمه وجميل وسمه، أخصّ بالذّكر:

أستاذتي المشرفة ظريفة ياسة التي استرشدتُ بخبراتها واستهديتُ بعلمها واستنصحتُ بتوجيهاتها إلى أن رسوت على شاطئ الأمان بمجاديف الحكمة والصبر.

أستاذتي التي خفضت لي جناح العطف ويسّرت لي سموّ الحرف وما أحاطها جلال الوصف ولا بديع الرّصف غاليتي الأستاذة الدكتورة وردة مسيلي.

إلى هؤلاء جميعهم وأولئك الذين لم أذكرهم سهوا أهدي عملي هذا بذرة وثمرة..

مقدمة

لم ينل موضوع اللهجات في بلادنا حظّا وافرا من الدرس والعناية من جانب الدارسين والباحثين بعكس ما هو واقع عند أمم أخرى .

ولما كانت الأمثال الشعبية أحد المواضيع ذات الأهمية التي لها علاقة وطيدة باللهجات، إذ إنّ اللهجة الجزائرية عامّة واللهجة القسنطينية خاصّة تكاد تفتقد وجودها ضمن الدراسات اللغوية العربية، إذا استثنينا بعض المحاولات الجادّة التي فتحت لنا مجالا للدراسة، فقد ارتأيت تناول هذا الموضوع بالدراسة مركّزة على بعض الجوانب اللغوية ومقارباتها السوسيولسانية، وما تفضي إليه من تداعيات نفسية تربوية وسلوكية، لأكشف عن العلائق الكامنة بين هذه اللهجة من خلال جملة مختارة من الأمثال الشعبية وبين اللغة العربية الفصحى، لأنّ الجانب اللغوي في مثل هذا البحث تكون له سماته وخصائصه الفريدة التي تقرّر نتائج من شأنها استشراف جملة من الظواهر اللغوية الاجتماعية: صوتية، صرفية وتركيبية طبعت لهجة قسنطينة، فضلا عن محاولة استجلاء الحقائق والأسرار التي ميزت اللغة الشعبية في قسنطينة، والتي تتجلّى واضحة في تلك الأمثال الشعبية المتداولة بلغة خاصة يبدو أنّها تختلف في نواح عدّة عن الفصحى –كما أسلفت–، ومن هنا تبدو لنا حيوية المثل الشعبي حيث يمثّل حقّا جزءا مهمّا من الفلكلور الشعبي، ويختزل تجارب الشعب في عبارات موجزة موحية تبرزُ عقلياتهم ودرجات حضاراتهم ومستوى معيشتهم، ونوعية ثقافتهم، فالمثل صوت الشعب في أوجز عبارة .

ولعلّ تلك الأسباب وغيرها كانت الدّافع الأساس لاختيار هذا الموضوع، الذي أقدمت على معالجته والذي يعدّ مغامرة لغوية نظرا لكونه موضوعا جديدا لم تكثر الدراسات حوله، وبالتالي انحصار المصادر والمراجع فيه، لكنّ لقاءاتي ومناقشاتي مع جملة من الأساتذة والباحثين شجّعتني على انتقاء هذا الموضوع ودراسته، حيث وجدت فيهم حافزا قويا تمثّل في التشجيع والإرشاد والنصيحة والمساعدة، فلهم منّي جزيل الشكر والعرفان.

وقد جاء البحث مقسّما إلى ثلاثة فصول:

أما الفصل الأوّل؛ فعرّفتُ فيه المثلَ من الناحية اللغوية والاصطلاحية، معتمدة في ذلك على بعض المصادر والمراجع المتوفرة بين يديّ، كما قابلتُ المثل الشعبي بنظيره، أو بمثل مقارب أو مشابه بالفصحى، أو بمثل عاميّ من قطر عربيّ على قدر الإمكان، مستعينة في ذلك ببعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة –كلّما دعت الضرورة لذلك–

كما أَثْبتُّ في هذا الفصل المثل في اللهجة، وكانت لي في جمعه مشقّة الفتاة التي تجوب الأسواق والأحياء الشعبية العتيقة كـ:(السويقة، البطحة، ربعين شريف، سيدي بوعنابة،، سوق العاصر، طريق جديدة، القصبة...) وغيرها من الأحياء، لأخذ المثل من أصدق مصادره (أفواه الشعب)، متوخية في ذلك كبار السنّ وأن يكون ناقل المثل قسنطينيا قحّا وحافظا للمثل كما ورد –ما أمكن ذلك–.

كما كان أفراد عائلتي الجديدة مصدرا لي في ضبط بعض الأمثال التي لم أتمكّن من تسجيلها؛ لأنّ بعضهم كان يتحرّج من التسجيل، فاعتمدت كتابة المثل كما يُنطقُ توخيّا للأمانة العلمية، وحفاظا على اللهجة القسنطينية وكيفية نطقها؛ لأنّها محلّ الدراسة، وإذا كان مبحث الخطاب التواصلي من أهم المرتكزات التي يتوكأ عليها علم اللغة بشقيه الفصيح واللهجي الذي يرتقي بفضل كثافته الفكرية إلى مصاف الدوائر التداولية التي تشكلها لغته بوصفها ذات طبيعة تواصلية بحتة، ومن هذا المنطق سأسعى إلى محاولة الإلمام بشتات التجربة الشعبية ممثلة في عنصر مهم من عناصر الإفصاح، وهو المثل الشعبي الذي يُشكِّلُ معظم التجربة الوجودية التي يختار معطياتها من داخل كينونة المثل ويصوغ خصوصياتها الخطابية من داخل المعانات الشعبية.

من خلال هذا الطرح تهيأت لي قراءة أفقية للمثل الشعبي حققَّتُ من خلالها هدفين اثنين:

أولهما؛ الإلمامُ بالمعجم الشعبي والنظر إلى اللغة من حيث مغيباتها أو بعبارة أخرى الولوج إلى عالم العبارة المجسِّدة لتجربة الراوي وهو يعايش معطياتها، وما تنطوي عليه تلك العبارة من تراكمات دلالية باعتبار أن العلامة في الخطاب الشعبي تتجاوز المنطوق إلى ما سواه.

ثانيهما؛ فَهمُ الخطاب التواصلي ممثلا في المثل الشعبي من خلال حمولاته الفكرية وسعيا إلى فكِّ رموزه اللغوية بنقلها إلى تأويلات دلالية، حيث تحيلنا العبارة الشعبية في المثل إلى عالم المقامات المختلفة التي تحددها لحظة الخطاب، ويكفي أن الخطاب الشعبي يتكلم بالعبارة و من خلالها حيث يقتضي التأويل الغوص في العبارة الشعبية من قبيل الكشف عما يختفي في بناء معمارها الفكري، وتأصيل فرادتها في إطار المشهدين الفكري واللغوي حيث تنمو هذه اللغة وتتفجر في قوالب خاصة لتؤسس لخطاب يتمرد عن اللغة الطبيعية ويقفز لنمط جديد من القول، يبحث عن الشرعية بل ويطمع في نوع من السلطة يحدث بها خللا اصطلاحيا باللغة المشتركة التي صارت القالب الرسمي له.

إن الدعوة باتت ملحة إلى جعل الموروث اللامادي، وخاصة المثل الشعبي مدونة في غاية الأهمية لإنجاز البحوث الميدانية بمختلف مقارباتها العلمية، ومن هذا المنطلق أدرجت بعض الجامعات العالمية ضمن برامجها العلمية المثل الشعبي كحقل معرفي مستقل وأطلقوا عليه مصطلح "براميولوجي" وتعتبر الباحثة كلودين شولي من خلال مسارها الطويل في البحث أن علماء الاجتماع في البلاد المغاربية قد استوعبوا ضرورة القيام بدراسة بمقاربات تفهامية حول المأثور الشعبي ولاسيما المثل الشعبي والتأكد على قيمة هذا المتن في دراسة التحولات الاجتماعية والاستماع إلى الثقافة وهي تتشكل.

فعندما يتناول الباحث موضوعا كهذا "المثل الشعبي" ويقاربها سوسيولوجيا ولسانيا، أي بمقاربات سوسيولسانية، يتبادر إلى ذهنه السؤالان الآتيان:

-كيف يمكن أن نحدد الفروق القائمة بين اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة بل و كيف يمكن أن نحدد هذه الفروق بين اللغة الفصحى و العامية هل يحق لنا أن نتكلم عن أدب شعبي شفهي، هل يمكننا أن نخضع هذا الشكل التعبيري إلى منهج ندرسه من خلاله هل يمكننا تمييزه عن أشكال التعبير الأخرى في إطار دراسة أكاديمية علمية؟

–و أخيرا ما هي الصفات المميزة للمثل الشفهي الذي يحمل قيمة جوهرية ذات انتشار واسع وانتقال ديناميكي مستمر في المجتمع الإنساني، ذلك النص الذي يكون قيما على الرغم من أنه أدب شفهي غير مكتوب، و إذا كتب فبأي لغة يكتب ثم إلى أي مدى يمكن لهذه الآداب الشفهية أن تحافظ على نفسها دون تبديل أو تغيير وهي تنتقل من جيل إلى جيل ، كما هو الحال في الآداب المكتوبة

فالكثير من المناهج والمدارس التي تأسست قديما كانت قد فرضت قواعد صارمة لتعلم الأدب الشفهي وحفظه من الضياع والتأكد من عدم تغيره و تبدله. كما هو الحال في المنهج الذي أسسه "بانبني"، وقواعد الرواية الصارمة عند العرب القدماء عندما كانوا يتناقلون الأدب واللغة شفاهة مع افتراض مبدئهم الشهير "الرواية مع الدراية "كما تقول العرب .

إن فكرة الثابت والمتغير في اللغة يطرح علينا تساؤلا مفاده؛ كيف يجدد الأدب الشعبي اللغة و على أي مستوى من مستوياته

– من الصعب على الباحث في ميدان الأدب الشعبي أن يحدد للغة موضوع الدراسة أو يعرفها لأنها في جوهرها آلية صوغ واحتفاظ وإمداد وملكة تواصلية تمثل بشكليها المكتوب والمنطوق خاصة طاقة صوتية، بنائية تركيبية ودلالية تعبيرية جبارة .

فالمثل الشعبي في لغتها ضرب من الاختلاف الحاصل على مستوياتها في الاستعمال، وهذا الاختلاف يحمل في تركيباته تنوعا قد يجد دارس اللغة له تفسيرا اعتبارا من تلك الانتهاكات التي تلحق النظام اللغوي أساسا حيث يقاس الانحراف استنادا إلى وجود معيار يستند عليه الباحث فيقيس درجات الانزياح التي تقبلها اللغة و الأخرى التي يرفضها الاستعمال (نمثل بجزء مثل فيه انزياح و انتهاك سواء أكان فونيميي أو بنائي (صيغمي) أو تركيبي(نظمي)

والخطاب في المثل الشعبي ذو وظائف اجتماعية يرتكز على خلفيات إيديولوجية معينة، وهو خطاب غير مباشر أقرب ما يكون للخطاب الضمني الذي يعارض الخطاب المبشر.

ويفسر في ضوء هذا التعارض الذي يفترض قدرة حدسية بالمرجعية، فالخطاب الضمني توليد في مستويات التأويل إلى ما لا نهاية...

و يمتلك كل خطاب ضمني خلفية تحيل إلى الجماعة السوسيو ثقافية المنتجة له، وتنوع محددات الخطاب في المثل الشعبي، فهو من جهة خطاب معرفة لما يسمى إليه من نشر معرفة واستجلاء تجارب أمم

وأجيال، كما أنه خطاب سلطة ينطلق صاحبه من نقطة علوية معلنا عن الحقيقة كاشفا التناقضات

والمزالق الاجتماعية، وهو أيضا خطاب تأسيسي يتولى تشييد تصور جديد للتلقي، متميز عن أصناف التلقي الأخرى .

وأخيرا فإن الخطاب الشعبي خطاب نزعوي (ميولي) من حيث سعيه إلى تحقيق هوية جماعية تتحد فيها الأهداف والمقاصد متجاوزة حدود الاختلاف.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي بآلية التحليل

وعليه سار البحث وفق خطة منهجية اعتمدت فيها الخطوات الآتية:مقدمة وثلاثة فصول؛ أما الفصل الأول: تضمن التعريف اللغوي الاصطلاحي للمثل الشعبي وجمع المادة، أما الفصل الثاني:فخصص الدراسة التركيبية:

1-التركيب الصوتي: ظواهر صوتية مختلفة كتفخيم الهمز والإمالة الإدغام الإبدال الانسجام الصوتي بين أصوات اللين

2-البنية المرفولوجية: أبنية الأسماء، الإفراد، التثنية، الجمع، التذكير.

3-التركيب الإسنادي وفيه أركز على الجملة وعلاقتها بالأساليب المختلفة: النفي الاستفهام، الشرط، الأمر ...

في حين تناول الفصل الثالث: المقاربة السوسيو لسانية للمثل الشعبي، علاقته بمصدرها والدلائل المقالية الحالية، وكذا دراسة التحولات الاجتماعية وعلاقتها بالثابت القيمي في متن المثل الشعبي، أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج .

الفصل الأول:

المثل الشعبي القسنطيني؛ ومقاربته بالفصحى ولهجات عربية أخرى

1-مفهوم المثل الشعبي القسنطني ومقاربته بالفصحى ولهجات عربية أخرى

المثْل الشبْهُ يقال: مثْل ومثَل، وشبهٌ وشبَهٌ بمعنى واحد... والمَثَلُ والمثيلُ كالمثل والجمع أمثال.[1]

والمثَلُ:الشيء الذي يُضرب لشيء مثلا فيُجعلُ مثْله

وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومنه قوله تعالى: (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) ومعنى قوله "مثلا" أي عبرة يعتبر بها الآخرون.

قال **أبو هلال العسكري** في جمهرة الأمثال[2]:"أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام وهو في قولك: هذا مثل الشيء ومَثَلُهُ كما يُقال يشبهه وشبَهُهُ ثمّ جعل كلّ حكمة سائرة مثَلا، وقد يأتي القائل بما يحسنُ أن يتمثّل به إلّا أنّه لا يتّفق أن يسير فلا يكون مثلا"

أخسلْ يدّكْ وْدلّيها لي فيه طبيعة ما ينَحّيها

وقد ورد الحديث الشريف في المعنى نفسه "إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدّقوا، وإذا سمعتم رجل زال عن خُلُقه فلا تُصدّقوا فإنّه يصير إلى ما جُبل عليه"[3]

ويُروى أيضا في الفصيح الشائع "من شبَّ على شيء شاب عليه"

يُضرب لمن لزم عادته فلا يُفارقها

أنا نحفرْلو في قبر مُو وهو هارب لي بالفاس

يُضرب في ذمّ الإنسان تتعب في خدمته وهو لا يُقدّر مجهودك.

أنا نشكيلو بالعقر وهو يقولّي قدّاه ولادك، ويروى بعبارة أخرى: أنا نقولّو داري خالية وهو يقولي قداه عندك من ولدْ.

---

1 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي ، مادة مثل لسان العرب ج4،ص258

2 الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال ، جمهرة الأمثال،الناشر،دار الكتب العلمية،ص165

3 الراوي سيدنا أبو الدرداء، المحدّث: السيوطي الجامع الصغير،ص 696

يُضرب لبطيء الفهم والإدراك يسيء الفهم فيلتبس لديه الأمر[1]

ألبس قدّك وخالط ندّك ليَعْرَفْلك قيمة باباك وجدّكْ

ويقال في عبارة أخرى: ما تخالط روحك للزبالة، مايرفسوك الجاج.

يُضرب في الحثّ على ملازمة الأنداد ونبذ التواضع المفرط.

باه تْعاشي[2] ياامول الحنْك الراشي

وقد ورد المثل الفصيح بهذه العبارة: دهورَ نبحا وأُسْتهُ مبتلّة[3] . ويُضرب لمن يتوعّد من هو أقوى منه ويفاخر من هو أشدُّ منه جاها

باين الخطّ لي ينَبّت لحْشيش يُلفظ باستهزاء ويُضرب لمن لا تُرجى منه فائدة.

بات ليلة مع لجْران صبّح يقَرْقَرْ. وفي رواية أخرى:بات ليلة في دار الدبّاغ أصبح قربة[4]

ويقولون في المثل الفصيح:من عاشر قوما أربعين يوما أصبح منهم.[5]

يُضرَبُ المثل للإنسان سريع الانقياد في الطّباع.

جاج الزبالة ما يتربى في لقفاص. ويروى المثل بقولهم:"أبو الجعل ما تعجبه ريحة الطيبة"[6]

ولعل. البيت يدل على المعنى نفسه:

بذي الغباوة من إنشادها ضرر :كما تضر رياح الورد بالجُعل.[7]

يضرب المثل لمن أَلفَ القذارة و الخشة فلا يستطيع التخلي عنهما.

-الجَار لقريب خير من لْخُو لَبْعيد.يشير الحديث إلى المعنى ذاته "من كان يؤمن بالله و

---

1 قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ترح وتحقيق:عبد الرحمان حاج صالح، دار النشر:ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1987ص:125.

2 تفاخر

3 اللسان مادّة دهور

4 قادة بوتارن، المرجع السابق، ص:224.

5 مثل عربي شائع.

6 عبد الرحمان التكريتي، جمهرة الأمثال البغدادية، قسم الأمثال الشعبية، مطبعة الإرشاد ، ط1 ، ج1 ، ص:60 .

7 ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ص:2004

اليوم الآخر فليحسنْ إلى جاره"[1]

يضرب المثل لتبيان قيمة الجار وبالتالي معاملته بالحسنى لأنه خير من الأخ البعيد.

– جا يْكحلها عْماها . وفي رواية أخرى:جَا يطبِّبْها عماها[2].

يستنكر بهذا المثل ما يصدر من أهل الإدعاء والغرور الذين يريدون أحيانا أن يغيثوا غيرهم فيتسببون في أضرارهم.

–جوز على وَادْ بَهْبارْ وُ مَا تجُوزشْ عْلى وَاد ساكُوتي[3]. ويروى:"كِنار تحتْ التبَنْ". يضرب في التحذير من هادئ الطبع لأنه سيفاجئُ الناس بما لم يتوقعوه منه.

– "الحُرحُر والخدمة ما تْظر".ويروى المثل في المعنى نفسه:"خدمتي مع النصَارى ولاٌ قعادي خصارة" .

يضرب المثل في تحبيذ العمل مهما كان نوعه و كيفيته لأنه شرف.

حط[4] صبعكْ في عينك كيما يو جعك يوجع غيركْ. ولعل الحديث الشريف أورد في المعنى نفسه:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[5] ويضرب المثل في بغض الأنانية والدعوة إلى المعاملة بالحسنى.

–أحكمي رُوحَك يا درْدارة لتروحي خسارة .المثل يروي في عصفور نحيف الجسم يريد أن يظهر قوته أمام بقية العصافير فتعلق برجليه قي غصن شجرة الدردار، وأخذ يتباهى بقوته وهو يقول:"احكمي روحك يا دردارة لتروحي خصارة " فردت عليه:"وايْنه ريشة رَاك حاط عليها "فذهب القولان عبراً لمن يتباهى بقوة هي في الحقيقة لا تعتبر في عين الأقوياء، ويُلفظ المثل الأول بتكبر واعتداد، بينما يُلفظ المثل الثاني ببرود وعدم اكتراث ويُروون مثلا آخرفي نفس

1 ينظر صحيح البخاري

2 الأمثال الشعبية الجزائرية، ص90

3 بهبار :واد شديد الهدير

4الحطّ: الوضع، حطّه، يحطّه حطّا:وضع الأحمال عن الدواب

5ينظر صحيح البخاري محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، علوم الحديث، ط1 ، دار الفكر، ص42

المعنى الثاني، واينه ريشة... وهو "منْ شافكْ يا قميحة في قاعْ الطريحةْ "أو من شافكْ... في نادر تبن "[1]

جيتَك تْعيني لْقيتكْ تَتْعان " ويروى بالفصحى:"كالذي توقى زبية فاصطيدَا"[2]

يضرب للرجل يأتي الرجل يسأله فيأخذ منه ما سأل .

حوّاس الديار إمّا كلمة توجعو ولا كلبة تغدرو.

يُضرب المثل لتجنب كثرة الزيارات لأنها تجلب الأذى .

– الخبر يجيبوه التوالى. معناه أن المهم و المفيد هو ما يأتي في آخر الأمر لا في أوله .

والمقصود أن أعمال الفرد لا تُقَوم في ذاتها بل بحسب ما يترتب عليها[3]

– أخدمها التّاعسْ النّاعَسْ، كُولها لْمتكّي لْحيط . ويروى المثل في العراق: اتعب يا شجيّ لنّايم المتشجّي[4]. وقد روي تكيوني ولطاب شي عطيوني . يضرب المثل للبائس الذي يكد ويجد لينعم بكدّه السعيد المرتاح.

أخدم يا صغري لكبري وأخدم يا كبري لقبري.

ويقال في المعنى نفسه:

المهبول لي يقول ولادي يكبروا و يخدموا عليا، أخدم يا بولولاد وخلي لقبرك شويا ولعلً هذا ما يعنيه المثل الفصيح:

"يا ربّما خان النصيح المؤتمن" [5]

ويضرب في ترك الاعتماد على أبناء الزّمن

خوذ الراي لي يبكيك وما تاخذش راي لي يضحكك.

---

1 القصة والأمثال التي في ثناياها رويت لي على لسان شيخ عجوز في حي شعبي""

2 مجمع الأمثال :ج1 ، ص140

3 قادة بوتارن،الأمثال الشعبية الجزائرية، ص:194

4 شجيّ شقيّ، المتشجّي :المتكّي، جمهرة الأمثال البغدادية، ج1، ص70

5 أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص495

أصوله:

" أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك"[1] ويضرب للنهي عن إتباع الهوى .

الخو خو مرتو وكي يموت يغيض ختو .

أورده التكريتي "الأخ لزوجته ويترك أخته" يضرب في موضع جفاء أخ أخته .

–الدّابة جيفة ومصارنها حلال. ويروى بمعناه: بوسعدية[2] كحل وحوايجو ملاح . يضرب المثل في الذي ينكر أخاه ويتمسك بمتاعه.

الدمّ إلا ما حنّ يكندر[3]. يضرب المثل لبيان قيمة القرابة و أحقيَة القريب من البعيد.

راحت عند مها ترتاح تلقا لبكا و نواح . يضرب لتعيس الحظ أينما يتوجَه تقابله التعاسة .

راح المسلم في سبَة المجرم. ويروى المثل في الفصحى: إحترق الأخضر بسعر اليابس. ويضرب للأحكام الجائرة تصيب المجرم والبريء وللبلوى تعم فتاتي على الأخضر واليابس.

رضيت بالهم مارضاش بيا حطيتو عند راسي ولالي عند رجليا. ويروى رضينا بالهم مارضاش بينا.

ويضرب للوضيع ترفعه إلا أنه يأبى إلا الضعَة.

زواج ليلة تدبيرتو عام. ويقال في مثل آخر: "في الزواج التدبير سنة والقطع ساعة"[4].ويضرب المثل للتأكيد على الأهمية التي يجب أن يعيرها الناس لتدبير الزواج، فإذا تمَ لهم ذلك فعليهم أن يبثوا فيه ولا يترددوا.

الزين بلا فعال يخزي مولاتو . ويروى: الزّين ما عمّر الدّيارْ. ويقال في مثل آخر: ما يعجبك نوّار الدّفلى فلعطيل عاملة ظلايل، وما يعجبك زين الطفلة حتى تشوف لفعايل. ولعل الحديث الشريف يوافق المثل:

---

1 جمهرة الأمثال البغدادية، ج1 ، ص 105

2 بوسعدية :رجل أسود اللون يطوف في الأحياء الشعبية يغنّي ويرقص للصغار، يرتدي ثيابا مزركشة ، يلفّ رأسه بمناديل وأوشحة ملوّنة تسرّ الناظرين

3 يكندر : يئنّ

4 الأمثال الشعبية الجزائرية، ص:156

"إياكم و خضراء الدّمن"[1]، ويضرب لتغليب الأخلاق الحميدة على الجمال لأنه لا ينفع وحده. سيدي مع عيالو ونا نتونس يخيالو.

وقد ورد المثل بقولهم "كالجانّة في أخرى الإبل"[2] يضرب لمن يعد يهتم بمن لا يبالي به ولا يهتم لأمره.

شاتي اللبن و مدرّق الطّاس. وقد ورد المثل بقولهم "ياويلتي رآني ربيعة"[3] ويضرب للشخص يحب الشيء و يحجم في طلبه أو يلمح له دون أن يصرّح.

الشمس ما تدرّق بالغربال. ورد المثل بقولهم:قد بيّن الصبح لذي عينين[4]. يضرب المثل للشيء الجلي الواضح مهما حاولت إخفاءه يظهر.

صلاة القيّاد جمعة وعياد .يضرب لمن لا يقوم بواجبه على أكمل وجه بل لا يؤديه إلا في المناسبات .

صام عام فطر علجرانة. ويروى صبر صبر وكي وصل للطّاجين كفر. ويقال في الفصحى "كالمختنقة على آخر طعينها"[5] يضرب للإنسان ينفذ صبره عند مشارف تحقيق هدفه.

-الطويلة بْلا خصلة[6] و يقال في الفصحى:"ذَهَبتْ طُولاً و عَدمتْ معْقولا"[7] ويقال أيضا:" الّطويل بْلا خَصلة كعرق البَصلَة"[8] يضرب للطويل لا يستفيد بطوله

1 خضراء الدّمن :الحسناء في منبت السوء

2 مجمع الأمثال ، ج2، ص:147

3 المثل قالته امرأة مرّ بها رجل فأحبّت أن يراها ولا يعلم أنّها تعرضت له ، فلمّا سمع قولها التفت إليها فأبصرها ، المصدر نفسه، ج2، ص:498

4 المصدر نفسه، ص:62

5 المصدر نفسه، ص:139

6 عمل مفيد ذو بال

7 مجمع الأمثال، ج1، ص:127

8 الأمثال الشعبية الجزائرية، ص:166

الطّويلة عَلْقت كَلتها[1]، والقصيرَة ماتَت بعَلتها... ترد القصيرة:انحط مايْدتي ونْعلقْ كلّتي. ويضرب المثل في المفاضلة بين النساء .

ضحكتْ المسلوْخة عَلْمدْبوُحة مَاتت لمْققد ة[2] بالضّحكْ. ويروى "المسلوخة تعيب على المذبوحة.

والمشرحة شبعت ضحك"[3] ويضرب لمن يضحك على عيوب غيره ناسيا عيوبه .

–ضربْني وبْكى سبقْني وشكى و يقولون في مثلهم الفصيح:"يضربني ويصأى"[4]، و"كالعقرب تَلدغ وتصئ" ويضرب للذي يأتي الأذى و يبادر بالشكوى .

ضيفه ضيَافة الدّيبْ لْبلارجْ. و يقال أيضا الضّيف عَنْد لْجاجْ يضرب لمن لا يكرم ضيفه ولا يحسن قرَاهُ.

–ضرْبة بَلفاس خيرْمن عَشرَ بالقَادومْ[5]. يضرب المثل لتحبيذ السرعة في إنجاز العمل مع إتقانه .

الفوخْ والزوخ ولعشا قرنينة، ويقولون أيضا: الفيش[6] والعشا قرنينة..ويضرب المثل لمُدعي ما ليس يملكه، ويحث في آن واحد الناس على أن يتوافق مظهرهم مع مخبرهم

– في لوجه مرايا وفي الظهر مقصْ. و يروى:الوجه لحم و لقلْب فْحم كما يروى أيضا:من يَمْنك يا كحل الرّاسْ يا اللي بْشيمتكْ طبيعة .

1 ستار باب الغرفة أو النافذة

2 القدّيذ: اللحم يجفف في الشمس والملح ثمّ يُطبخُ

3 الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص:224

4 الصّأي: صوت العقرب"مجمع الأمثال" ص:499

5 القادوم :فأس صغيرة

6 فاش الرجل فيشافهو فيوش: افتخر، قيل هو أن يفتخر ولا شيء عنده.الفياش المفاخرة "اللسان ، فيش"

السنْ[1] يضحكْ لسنْ ولقَلبْ مخبيْ لخديعة، ويقابله المثل الفصيح ."فمٌ يسبحْ ويدْ تذبح"[2] ويضرب المثل لذي المظهر دون المخبر .

– قيس قبل ما تغيس، لا قياس بعد الغرق. ويقولون في المثل الفصيح "قبل الرماء تملىء الكنائن[3]

وقبل الرمي يراشُ السَهم"[4] ويضرب في تحديد الهدف قبل بدء العمل

–ا لقبايلي بالغمزة والشاوي بالدبزة. ويقولون في المثل الفصيح "العبد يقرع بالعصا والحرُ تكفيه الإشارة. يضرب للنبيه سريع الفهم و الغبي بطيء الفهم.

– قوة الحافر للدريس.يلفظ باستنكار ويضرب لتحبيذ عدد قليل من الأفراد في العائلة .

– قلَب البرمة[5] على فمها تخرج الطفلة لإمها. ويروى المثل أيضا:

اكسر البصلة وشمها والبنية على ذيل امها[6].

ويضرب لمشابهة البنت لأمها في العادات خاصة

–الكبدة تولد مرتين.وقد عبَر الشاعر عن هذا المعنى قائلا:

حفيدنا من إبننا أحبُ الإبن قشر و الحفيد لبٌ[7]

ويضرب المثل لبيان مكانة الحفيد لدى جدَيه

–كل عطلة فيها خير. ويروى في الفصحى "أبطئ ولا تخطئ"[8].ويضرب المثل لتقبل البطئ المصحوب بالنجاح.

---

1 السنّ :الأسنان وفي المثل كناية عن الفم كلّه

2 مجمع الأمثال، ج1، ص:671

3 المصدر نفسه، ج2، ص:65

4 مجمع الأمثال، ج1، ص:643

5 البرمة: القدر

6 جمهرة الأمثال البغدادية، ج1، ص:259

7 البيت لمحمد فيض الزهاوي "المصدر نفسه"ج1، ص:56

8 المصدر نفسه، ص:40

كل خنفوس عند مّو غزال .ويروى بالفصحى "القرنبى[1] في عين امها حسنة" ويضرب المثل للذميم جميل في عين أمه والتافه عظيم في عين صاحبه.

-الكلب مديه الواد وهو يقول محلاها غربة. ويروى المثل في الفصحى " قد سيل به و هو لا يدري"[2] ويضرب لمن هو ذاهب فب الهلاك و هو لا يدري.

-أكبر يا خروف وانطح باباك. وعبَر الاعر عن المعنى نفسه في هذه الأبيات [3]

فيا عجبا لمن ربَيت طفلا ألقنه بأطراف البنان

وكم علَمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ويضرب المثل لمن يسيء إليك و ينكر فضلك عليه.

-كل واحد يهيي النار لقريصتُو باه طّيب.ويروى المثل في الفصحى "كلٌ يجدُ النار لقرصه"[4] لقرصه"[4] ويروى لمن يبغي الخير لنفسه فقط.

-الكلمة لمليحة خير من الدبيحة ويروى مثل آخر في نفس المعنى *اضحك في وجه ضيفك وما تنفقلوش*[5]

ويقول الرسول صلى الله عليه و سلَم "الكلمة الطيبة حسنة"[6] أو يقال صدقة" ويضرب لتحبيذ لتحبيذ معاملة الضيف بالحسنى و استقباله بالبشاشة.

-كون يشوف لبعير لحدبتو يقطع رقبتو. و يرويه العرب بقولهم "عندك وهْيُ فأرقعيه أو فرقعيه"[7] ويضرب لمن به عيب و يعيب غيره من الناس.

-اللي تمن في الراجل تندب بالحجر حافي، راسو عند راسي وقلبو مبدَل بخلافي

---

1 دويبة كالخنفساء منقطعة الظهر طويلة القوائم مجمع الأمثال ج2، ص:60

2 المصدر نفسه، ج2، ص:62

3 المصدر نفسه، ج2، ص:197

4 مجمع الأمثال، ج2، ص:131

5 النفقة:أن تقيم عشاء على شرف ضيفك

6 حديث شريف ، ينظر صحيح البخاري

7ارقعيه أو رقعيه:خيطيه" المصدر نفسه ج1، ص658

ويقال أيضا:الزمان والرجال ما فيهم لامان* ويضرب للحيطة من الرجال لأنهم شديدو التبدل و التغير كالزمان.

-اللي جا في قسمو عظم يقول لحم ويسكت. وفي الفصحى "أحسن من الخبز العلس"[1] وفي الحكمة *القناعة كنز لا يفنى*.يضرب للقبول بالقليل و القناعة باليسير.

-للي يحوس عللو يسهر ليل كلو وأصله "أتعب على الشيء تجده"[2]

ويقال أيضا في المعنى نفسه: "من طلب المعالي سهر الليالي"

وكما يقال "من ينكح الحسناء يعطي مهرها"[3] ويضرب للحث على العمل لنوال المطلب.

-اللي تحوَس على الزيادة عس روحك من النقسان. ويروى بالفصحى"عَيشُ المُضد حلوه مرٌ مقدٌ" ويضرب لمن كان له كفاف من العيش فطلب عيشا أرفع فوقع فيما يتعبه.

-اللي قاريه الذيب حافظو السلوقي. و يروى بالفصحى" إذا كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا" ويضرب المثل للشخص يظن نفسه فطنا فإذا به يصادف من هو أفطن منه وأحيل وأيضا للمعتَد بقوته أو بقومه.

-اللي موالف بلحفى ينسى صباطو. ويروى باللهجة العراقية" أسرحه ويَا الغزلان يرجعلي ويَا الثيران" ويقولون أيضا في معنى الحديث نفسه:كبَرنا بالحمار ودرنالو شهرة زعرط -مسكين- مابغا غير حلاسه. ويضرب المثل فيمن ألف شيئا فيصير من الصعب على الغيرأن يخلصوه منه.

-اللي ضربتو يدو ما توجعو. ويروى في لهجة العراق "اللي يوكع وحده ما يبجي"

وأيضا:"اللي انضرب بيدو ما يقول أح" ويضرب المثل لمن صبر لأنه من جلب لنفسه الألم.

-اللي يخلق ما يضيَع. ولعل الآية الكريمة توافق المعنى:"هل من خالق غير الله يرزقكم" ويضرب لبيان أنَ لكل حي رزقه.

---

1 العلس :مضغ الخبز وحده دون إدام

2 جمهرة الأمثال ، ج1 ، ص69

3مجمع الأمثال ، قادة بوتارن، ج2،ص:58.

-لاه ترققو حتا تولي تتني فيه. ولعل الآية الكريمة توافق المعنى:" إنَ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه". ويضرب المثل للدعوة إلى إتقان العمل.

-اللسان لحلو يرضع اللُبة. ويروى مثل في مثل هذا المعنى: فلان فمُو يغزل لحرير. ويضرب للإنسان الطيب لا يخرج من فيه إلا أطيب الكلام وعذبه.

-لا عينك في ظَيْفك تنكيهْ، غربو و تربو و لَهْدرة كدّْبو . يضرب لمن يتعمد الإساءة لضيفه للتخلص منه.

-لاَ عَيْنك في رُخْسو في السوقْ طَيَشْ نُصهْ يضرب في الدعوة إلى انتقاء مقتنيات العائلة في مواد غذائية .

-اللّوْلاَ عْسل والتَّانية بْصلْ والتالْتة تحْصل .ويروى المثل بلهجة العراق:"اليوكَع بالبير أَوّلْ مَرة يْموت شهيد، تاني مرة يموت عَاصي " يضرب لمن لا يعتبر حتى يهلك .

- اللي دارها بيديه يْحلْها بسنيه. ويروى بالفصحى:"يداكَ أوكتاَ وفُوكَ نَفخَ" يضرب لكل من جنى على نفسه لشيئفعله فوجبت مسؤوليته عليه.

لا لا مْناه نْدمْها نحالها ربي من دْراعها وحطلْها في فُمها. ويقولون اليَديْن مكسْريين ولْفُم للوذنينْ. يضرب لذم المرأة الكسولة الثرثارة .

ما يَبكيك غيرشفْركْ غيرْ ومَا يَندبلك غيرْ ظفْركْ. وروي في الفصحى "ما حَك جلدَك مثْلُ ظَفْركَ " يضرب لبيان أن همك تتكفا به وحدك، وفي الدعوة إلى الاعتماد على النفس .

ما يجيو يزاوجو حتى يتماثلو. ويروى أيضا:طاح الحك صاب غطاه .كما يقال أيضا:إن الطيور على أشكالها تقع يضرب للمتماثلين في الشيم يكون الوفاق بينهما .

المكسي بشي الناس عريان. ويروى باللهجة العراقية:"أبزع العارية والتفَ بالبارية" ويقال أيضا: "المكسي بمتاع الناس عريان"؛ يضرب لاستهجان الاستعارة.

-من شافك يا قميحة في قاع الطريحة. ويروى من شافك يا قميحة في نادر تبن يضرب في احتقار الصغير الذي يتطاول على من هو أقوى منه.

– ما يحس بالجمْرة غيرْ اللي عافَسْ عليها. يضرب لمن لا يشعر بهم غيره إلا إذا قاس مرارته.

–عْلى حاجتي نْعيط لكلبة خالتي. ويروى المثل الفصيح في المعنى ذاته:دَارهم ما دمتَ في دارهم. ويقال إذا كانت في دار قوم فاحلب في إنائهم يضرب للمضطر للمداهنة حتى يقضي حاجته.

العودْ لحقرُ هو اللي يعميكْ. ولعل الآية الكريمة توافق هذا المعنى:"يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منكم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منكنْ..." ويضرب المثل في الدعوة إلى عدم الاستهتار بالضعيف لأنه سيقوى.

–عيشْ يا عياشْ حتى يْطيب المشماش. ويقال حتى نزيد ونسميوه بوزيد. ويروى: من لتم ربي يتم . يضرب للدعوة إلى التريث في الأمر وعدم تسبق الأحداث .

–عينيْ كَحْلة بلا كحلْ ومحبوبة بلا طفلْ بضرب لمن يبتغيك لنفسك لا لشيء آخر .

–عودْ وحدو ما قْدا وفارس وحدو مَا غزا أو ما غدا.

ويقولون في المعنى نفسه: يد وحدة ما تصفق، وتقول الآية الكريمة" ولا تنازعوا فَتفشلوا وتذهب ريحكم" يضرب في الدعوة إلى الاتحاد والتضامن .

–ندَّه الظَرِيْحْ يظهرلك مدبر. ويروى تارك الصلاة يقول باب الجامع مبلع . يضرب للكسول الذي يرفض ما كُلف به من مهام تأمره بعمل ما فيفتعل لك النصيحة ليصرفك عما أمرته به.

–نَقلْتَلّ عَلّي يَطْلَبْ طلبة وما يفرزهاش. يضرب للأبله الذي لا يتبين مطلبهُ فيوقعه غباؤه في مأزق .

–هرب من عزرينْ طاحْ في قباظ لَرْواح . و يروى بلهجة أخرى.(انسلمت من الذيب أكلها السبعْ) و يقولون في المعنى ذاته:فَرّمن الموت و في الموت وقعْ .

يضرب لمن يبغي النجاة فبقع في التهلكة الكبرى و لمن ينجو من خطر فيقع في غيره .

-واحد ما كْلاها كيما اسحلاها . و يشير البيت إلى المعنى نفسه:ما كل ما يتمنى المرء يدركه: تجري الرياح بما لا تشتهيه السفنْ. يضرب للمرء الذي لا يستطيع أن يحقق كل ما يصبوا إليه.

- وقت لَمْنافع جيبو بونافعْ، ووقت الراحة طيْشو الدرياسْ ويروى:كُخْ أمعْزة مَا فيك حْليب .يضرب للإنسان الذي يقضي من آخر وطره ثم يتركه لأنه لم يعد في حاجة إليه .

-ياكل الغلة ويْسبْ الملَّةْ . ويروى في المعنى نفسه: أكلوا الهدية وكسرو البرية .

ويقولون أيضا: ياكل الصداقة ويْكسَّر الماعون. يضرب المثل لمن يكسر صنيعه المحسن إليه، ولمن يقابل الإحسان بالإساءة

الفصل الثانـي

المثل الشعبـي دراسة لغويـة

1. الدراسة التركيبية: التركيب أحد المستويات اللغوية التي تكشف خفايا النص وتظهر محتوياته ومعانيه التي أنشئ من أجلها، والجملة هي الوحدة الصغرى التي تُبنى عليها هاته التراكيب المتنوعة في النص، مما يحتم علينا دراسة مفهوم الجملة وبيان عناصرها وأنواعها.

1.1-تعريف التركيب لغة:

هو وضْع شيء على شيءٍ، وجاء في لسان العرب: ركَّب الشيءَ: وَضَع بعضَه على بعض، فتركَّب وتراكب[1]

ويقال: تراكب السَّحاب وتراكم؛ أي صار بعضُه فوق بعض[2]، والمركَّبُ -كمعظَّم- هو الأَصْلُ والمَنْبِت[3].

ويقابل التركيبَ، التحليلُ، ويكون في الأسماء والحروف، دون الأفعال؛ قال ابن عصفور: لم يوجدْ في الأفعال ما هو مركَّب[4]

ولا يكون التَّركيب فيما أُخذت منه الأفعال؛ وهي المصادر ولا في الصِّفات الجارية على الأفعال، وإنَّما يكون التَّركيب في الأسماء، نحو: بعلبك ومعد يكرب، وما أشبه ذلك، وفي الحروف، نحو: هلاَّ، ولولا[5].

1 -**البطليوسي** (عبد الله بن السيد): إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجَّاجي. تحقيق: حمزة عبد الله النشرتي دار المريخ، الرياض، ط:1، 1979م ص:12

2 -**السِّيرافي** (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق): إصلاح المنطق. تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، وعبدالسلام هارون دار المعارف، مصر، ط:3، 1970م.ص:27

3 - ابن **السراج**: الأصول في النحو. ص: 29

4 -**أبوحيان** (محمَّد بن يوسف الأندلسي): ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الأردن، ط:1، 1998م، ص: 47

5- **السَّيوطي**: الأشباه والنظائر في النحو. ص: 24

2.1-تعريف التركيب اصطلاحا:

المركب عندَ الفلاسفة وأهل المنطق هو ما يدلُّ جزء لفظه على جزء معناه[1]وعند النَّحْويين هو ما تركَّب من كلمتين فأكثر[2]

إن الكلام تكوين له شكله اللغوي العام، وهذا التكوين له أجزاؤه ومكوناته التي تتضافر لأداء المعنى المتوخى من ذلك الكلام.

وقد أدرك القدماء ذلك فحاولوا قدر الإمكان تحليل ذلك النظام والوقوف على مكوناته الأساسية، وأنماطه وعناصره وتوضيح العلاقة بين الكلام والجملة وفي ضوء ذلك الفهم أطلق كل عالم العنان لنفسه لتقديم تعريف أو أكثر للكلام أو الجملة، وبذلك تتضارب الآراء وتختلف الاتجاهات وتكثر التعريفات التي قد يهمنا منها تعريف **الزمخشري** (ت:538هـ): "الكلام هو كل ما تركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك:"زيد أخوك"، و"بشر صاحبك" أو في فعل واسم نحو قولك:"ضُربَ زيد" و"انطلق بكر"، ويسمى جملة"[3].

فقد سوى بين الكلام والجملة وعرف **ابن جني**(391هـ) الجملة بقوله:"وأما الجملة فهي كلام مفيد مستقل بنفسه"[4] وقال أيضا: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو:"زيد أخوك"، و"قام محمد"، و"ضرب سعيدٌ"، و"في الدار أبوك"...فكل لفظ استُعملَ بنفسه وجنيتَ منه ثمرةَ معناه فهو كلام "[5].

فقد جعل الكلام والجملة مترادفين أيضا.

1- أبو الفرج **الأصفهاني**: الأغاني. ص: 56

2- **البغدادي** (الخطيب أبو بكر ابن النجار): تاريخ بغداد وذيله المستفاد. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2001م ص: 25

3 شرح المفصل:ج1، ص18

4 ، ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي اللمع، الناشر دار الكتب الثقافية الكويت.

5 ابن جني، الخصائص:ج1، ص18

وقد فرق **ابن هشام** (ت761هـ)بين الكلام والجملة إذ جعلها أعم منه لأنها قد تكون مفيدة أو غير مفيدة .

وقد يطول بنا الحديث و يتشعب في البحث عن قضايا الجملة العربية، وسنقتصر على ما يَهُمُّنا في هذا المقام وأعني قضية الإسناد، فعناصر الجملة ثلاثة:

1- المسند: الذي يبنى على المسند إليه، ويُتحدث به عنه .

2- **المسند إليه:** أو المتحدث عنه، أو المبنى عليه.

3- **الإسناد:** أو ارتباط المسند بالمسند إليه[1]

وهي علاقة ذهنية بينهما، فالمسند قد يرد في المثل الشعبي:

أ- **اسما:**نحو قول المثال"هدي الجاجة مولات حاجة و السردوك راعي دوار"ف "مولات، وراعي " إسم مسند .

2- فعلاً: كما في قولهم "راح المسلم في سبة المجرم"، ف"راح"مسند وهو فعل ماضي، أو في قولهم:"ياكل الغلة ويسب في الملة"، ياكل، ويسب "فعلان مضارعان

و يرد المسند إليه في المثل الشعبي

1- مبتدأ (اسم) نحو قولهم: "الكلمة لمليحة خير من القبيحة(الذبيحة) فالمسند إليه مبتدأ وهو (الكلمة).

فاعلاً اسم) نحو: "راح المسلم في سبة المجرم" فالمسند إليه فاعل(المسلم) وهذا النظام لا يَحيد عمًا في الفصحى.

أما ترتيب العناصر المكونة للجملة من مسند ومسند إليه في الجملة المنفية، أو المثبتة فقد يتخذ عدة أشكال أذكرها في النقطة الموالية.

1 ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي، ص31

2.الأساليب المستعملة في اللهجة القسنطينية من خلال الأمثال الشعبية المنتخبة:

1.2- أسلوب النفي:"النفي إنما يكون على حسب الإيجاب، إلاّ أنه إكذاب له "[1]

فهو أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وأدواته: لا، ليس، لات، لم، لما، لن، غير... وتتضمن الأمثال الشعبية هذا الأسلوب بأبرز الأدوات المتمثلة في (ما+ش)، وتأتي (ما)+(ش) مع الفعل (كان) هكذا: (ما+كان+ش)= ماكانش، وتؤدي هذي الأداة وظيفة (لم الجازمة)، و(لن الناصبة)، و(ليس) و(لاالنافية)، و(لا الناهية)... وتفهم دلالة الأداة من خلال السياق الذي ترد فيه، فقد تؤدي الأداة معنيين أو أكثر في آن واحد كما يتبين لنا ذلك من خلال النماذج التي نعرضها لاحقا .

ولعل السؤال المطروح سيتعلق بمعنى (ش) التي تصطحب (ما) يقول الدكتور **إبراهيم أنيس** "النفي مع الشين ظاهرة قديمة، كانت مألوفة في بعض اللهجات العربية القديمة، وإنها انحدرت إلى لهجات كلامنا من تلك القبائل القديمة"[2]، كما يفسر(ش) بأنها جاءت من كلمة (شيئ).

وسأعرض بعض النماذج التي تتضمن هذه الأداة بأشكال مختلفة، يقول المثل الشعبي:"ما يحس بالجمرة غير لي عافس عليها "، استعمال (ما) بمعنى لا النافية "ما يدوم على حالو غير ربي سبحانو" استعمالها بمعنى "لن" الناصبة، وقد تتكرر الأداة وهنا تحذف اللاحقة (ش) كما في قولهم"ما ناكلك يا عشايا ما نمدك لعدايا "

وقد يكثر استعمال الأنماط التركيبية للمثل الشعبي المنفي، ولكن اللافت للانتباه تقدم الأداة في أغلب الأحيان.

و بخلاف الجملة الفعلية المنفية، فإن الأداة في الجملة الإسمية لا تتصدر الترتيب بل قد تتأخر مع جملتها، كما في قولهم:"الرجال والزمان ما فيهم لامان"

---

1 شرح المفصل :ج8، ص107

2 في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة أنجلو مصر–القاهرة

ويكون ترتيبها على الشكل الآتي:

جملة + الأداة + المسند + المسند إليه، وهو الترتيب نفسه الذي قد نجده في العربية حيث يتقدم الخبر وهو شبه جملة كما في قوله تعالى: ﴿ **لا فيها غول**﴾[1].

2.2. أسلوب الاستفهام: "الاستفهام الاستعلام عن وقوع نسبة يجهل المستفهم تحقيقها"[2] ويشترط أن تكون النسبة خبراً سواء كان الخبر مثبتا أو منفيا، ولهذا لا يستفهم عند طلب ولا يستفهم عند إنشاء[3]، فلاستفهام –إذن– أحد الأساليب اللغوية المستعملة في الكلام بغية الحصول على فهم أمر ما.

وقد عرفت اللهجة القسنطينية أيضا هذا الأسلوب سنتبينه من خلال إيراد بعض الأمثال الشعبية القسنطينية التي لاحظت من تحليلها نوعين من الاستفهام:

–**استفهام النغمة:** وهو استفهام من غير أداة يعتمد فيه على النغمة بالضغط على بعض المقاطع دون غيرها أو بمصاحبة الكلام نوعاً من التقطيب من الوجه، أو حركات اليدين...

–**استفهام الأداة:** وهو أهم وأكثر شيوعا من الأول، ويدعى أيضا بالاستفهام الخاص أي الذي يتحقق بالأداة وقد لاحظ من خلال الأمثال الشعبية المنتخبة جملة من الأدوات المستعملة في اللهجة القسنطينية عموما، وأقتصر على ذكر البعض منها في الآتي:

أ– وايَنْ: ويستفهم بها عن المكان:"واين رايحْ"، "وايَنْ كُنْتُ يا خرفان كي كنا حنا جزارة".

ب–قَداّهْ: ويستفهم بها عن العدد:"قداه عندك لولاد "وعند الزمان أيضا وهذه الأداة متداولة جدا في قسنطينة للاستفهام عن العدد نحو:"أنا نشكيلو بلعقر وهو يقولي قداه ولادك ".

ج– باه:يستفهم بها عن الكمية والكيفية، وتتضح دلالتها من السياق الذي ترد فيه ولعلها تقابل(بماذا)في الفصحى نحو قولهم:"باه تعاشي يا مول الحنك الراشي".

---

1 صورة الصافات ، الآية 47

2مغني البيب، ابن هشام الأنصاري، ج2، ص349

3 في النحو العربي، نقد وتوجيه، ط2، بلد النشر لبنان–بيروت دار الرائد العربي :ص264

د-عَلاَهْ: يستفهم بها عن السبب و الكيفية، وهي منحوتة من التركيب (على أي شيء)، نحو قولهم:"علاه ترقّو حتان تولي تثني فيه".

هـ- واش: يستفهم بها عن أغراض عديدة، وأحيانا تحذف ألف المد فتنطقه (وش)، ويظهر أنها منحوتة من التركيب(أي شيء)، ويستفهم بها عن الحالة كما في قولهم:"واش يخصكْ يَا لْعريَانْ يخصني لخْواتم يَا مُولاي"، وقد استعملت في أسلوب مبني على التكلم و السخرية، ولكنها لم تخرج عن وظيفتها الأصلية .

ويلاحظ أن هذه الأدوات على اختلافها لا تأتي إلا في صدر الجملة أو الكلام وهي بذلك لا تخرج كما هو جار في اللغة العربية الفصحى.

3.2-أسلوب الشرط: يعد هذا الأسلوب أحد الأساليب اللغوية المختلفة في بنائها التركيبي، فهو يقوم على ركنين أساسيين، الأول فعل الشرط، والثاني جوابه ويتحقق الثاني بتحقق الأول ويتقدم بانعدامه، فالشرط والجزاء بالنظر اللغوي جملة واحدة وتعبير لا يقبل الانشطار لأن الجزئين المعقولين فيها يعبران عن فكرة واحدة، لأنك إذا اقتصرت على واحدة منهما أخللت بالإفصاح عن ما يجول في ذهنك، وقصرت في نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع[1]

وللشرط أدواته في الفصحى، وسأحاول ذكر ما بقابلها في لهجة قسنطينة من خلال الأمثال ذلك أن أسلوب الشرط في الأمثال لا يختلف كثيرا عنه في الفصحى إلا من حيث بنية بعض الأدوات، وانعدام الإعراب في اللهجة ويؤدي أسلوب الشرط في الأمثال الشعبية القسنطينية بجملة من الأدوات لعل أهمها:لو، كان، لولا، كون، ما، كي...

-وصف لأسلوب الشرط:

أ-أداة الشرط+جملة جواب الشرط فعلية(ماض)+ج ج ش فعلية(ماض) نحو قولهم:"اللي شتاني ما بنالي قصر، واللى كرهني ما بنالي قبر".

1 مصدر سابق ، ص286

ب–الأداة+ج ش فعلية(مضارع)+ج ج ش فعلية(مضارع) نحو" اللّي يحوس للُّو يسهرْالليل كُلّ".

ج–الأداة+ج ش فعلية(ماض)+ج ج ش(فعلية مضارع) نحو:"اللي دارها بيديه يحلها بسنيه".

أما الترتيب المخالف لهذا الترتيب المخالف لهذا الأخير فهو نمط نادر في اللهجة القسنطينية بل ولا نكاد نعثر عليه .

د– الأداة+ج ش إسمية +ج ج ش فعلية (مضارع) نحو قولهم:" كُون ما عيني و لساني نروح لقبري هانَي".

وتبقى بعض الأنماط الأخرى تمثل أسلوب الشرط في اللهجة القسنطينية يتحقق فيها ذلك ولو لم تتوفر أداة الشرط، لأن السياق وحده كفيل بإعطائها سمة أسلوب الشرط نحو قولهم:"احكْمي روحك يا دردارة لتْرُوحي خُصارة".

كما يلاحظ أيضا أن الأداة المستعملة للشرط قد تتكرر مع جملتي الشرط وجوابه، ولكن يبدو أنها مع الجواب تكون بمعنى(اللام) التي تفيد الاستقبال كما في المثل:"كونْ جَا راي دَابْ كونْ رْكبتُ" أي:لركبْته، كما تستعمل اللهجة أداة أخرى في الشرط هي: (لو كان) كما في قولهم:"لو كان يشوف لبعير لحدبتو يقطع رقبتو".

ويلاحظ أن الأداة مع أسلوب الشرط تضرر الجملة في أغالب الأحيان إلا في حالات ليستغنى عنها ليقوم السياق، أو الحال بالإشارة إلى أسلوب الشرط .

4.2. دراسة صيغ الأسماء:

أ–الإفراد: وسأتحدث عن صيغ الاسم الثلاثي المجرد الواردة في الأمثال الشعبية القسنطينية، وكما هو معروف فإن الاسم الثلاثي المجرد يكون مضموم الأول، ومكسور، ومفتوح باعتبار فائه، أما باعتبار عينه فيضاف السكون إلى الحركات الثلاث فتكون الصيغ بذلك "فَعَل،

فَعُل، فَعل، فُعَل، فُعُل، فَعل، فعَل، فعُل، فعل، فَعْل، فُعْل، فعْل" وقد أهمل بناءان في الاستعمال هما:فُعل، فعُل لثقلهما[1] .

أما الصيغ التي شكلت جزءا من الأمثال الشعبية القسنطينية فهي:

1- صيغة "فَعْل" وتجيئ فصيحة في اللهجة كما في المثل:"الكلب مديه الواد وهو يقول محلاها غربة".

2- صيغة "فْعَل" المتحولة عن الصيغة الفصيحة"فعَل" كما في المثل"الديب كي ما لْحَقْش لعنب قال حامض"ق"عْنَب" أصلها"عنبْ".

3- صيغة"فَعْل" المتحولة عن الصيغة الفصيحة"فَعل" كما في المثل: "الكَبْدة ولْدتْ مرتيْن" فصيغة "فَعْلة" الدالة على الاسم المفرد والمؤنث، وتأتي من الأسماء والصفات من الأصول الفصيحة وهي متداولة في اللهجة، وذلك كما في المثل:"ضَرْبة بلفاسْ خير من عَشَرة بلقادوّمْ".

ملاحظة: نلاحظ أن صيغة"فْعَل"خاصة فقط باللهجة إذ لا تبدأ الفصحى بالمقطع القصير المغلق، ولا تجيزه وهذه الصيغة لهجية أصلية كما تأتي متحولة عن صيغ فصيحة:

1-"فْعَل"المتحولة عن"فَعَل"كما في المثل "شاتي اللبن ومدرق الطاس"و"اللولا عسل والثانية بصل والتالتة حصل" مع الإشارة إلى أن "حْصَل" فعلٌ.

2- "فْعَل" المتحولة عن "فَعل" كما في المثل:"جوز على جارك بغسلة صابون وما جوزش عليه بفخذْ لحمْ".

3- "فْعَل" المتحولة عن"فعْل" كما في المثل:"عيني كحلة بلا كحل ومحبوبة بلا طفل".

4- "فْعَل" المتحولة عن"فُعْل" كما في المثل:"اللسان لحلو يرضع اللبة".

5- "فْعَل" المتحولة عن"فَعْل" كما في المثل:"القلب فحم والوجه لحمْ"

1 المنصف، ابن جني، ابراهيم مصطفى وآخرون، ط1 ج1

4- صيغة"فُعْل" الفصيحة وترد أصلا كما في الفصحى عندنا في لهجة قسنطينة كقولهم في المثل:"الا عينك في رخسو فالسوق طيشْ نصُّ" وتأتي صيغة"فُعْل"متحولة عن"فَعْل" كما في المثل:"الموت ولوخيذهْ" وتنطق بإمالة حركة لفاء الكلمة(الموت) نحو الضمة، وهي ظاهرة قديمة في اللغة العربية وذلك نزوحا للاقتصاد في الجهد العضلي[1]

صيغة "فعْل" المتحولة عن "فَعْل"كما في المثل "ضيف كل عام يسهل الذبيحة، وضيف كل يوم يسهل الطريحة"بإمالة الفتحة نحو الكرة تحقيقا للانسجام بين الأصوات وطلباً للخفة أيضا.

صيغة "فْعُل" المتحولة عن الصيغة"فُعْل" كما في المثل:"عيني كحلة بلا كحل ومحبوبة بلا طفل"وليس نظير في الفصحى فهي خاصة باللهجة فقط.

هذه مجموعة من الصيغ الواردة في جملة الأمثال الشعبية القسنطينية المنتخبة، ولا أزعم أنها كل صيغ لهجة قسنطينية بل هناك صيغ أخرى مسموعة، ولم تكن محل دراسة .

ب- التثنية:المثنى ما ألحق آخره ألف أو ياء مفتوح ما قبلها ونون مكسورة ليدل على أن ما معه مثله من جنسه.[2] ولتثنية طريقتنا في الأمثال الشعبية القسنطينية:

أولهما: زيادة اللاحقة (ين) كما في بعض اللهجات العربية[3] نحو قولهم:"الفم للوذنين واليدين مكسرينْ" بإمالة الفتحة التي تسبق الياء إلى كسرة تحقيقاً للانسجام بين الكسرة والياء، لأن الكسرة بعض الياء كما يقول **ابن جني** في حديثه عن شكل الحركات[4]. ويثنى المؤنث و المذكر بالطريقة نفسها، كما تكون النون التي تلحق المثنى بينما تكسر في الفصحى وهذه ظاهرة سامية لها وجود في العبرية وفي غيرها من فروع الفصيلة السامية[5] .

---

1 في اللهجات العربيةّ: ص65

2 شرح الكافية ج2 ص171، وشرح المفصل ج4:ص137

3 حفني ناصف، مميزات لغات العرب ط1، المطبعة الكبرى ببولاق-مصر المحمدية:ص22

4 ابن جني، الخصائص، ج3:ص121

5 ، إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن ط2، بلد النشر لبنان، ج1، تاريخ النشر 1983 ببيروت

ثانيهما:زيادة السابقة (زوج)+(الجمع) كما في قولهم"زوجْ عَجاَيزْ على برمة خبايز" ويستوي في ذلك المؤنث والمذكر على حد سواء.

ج- الجموع: الجمع ضم شيئا إلى أكثر منه لغرض الإيجاز والاختصار[1] وهو إّما جمع المذكر السالم أو جمع مؤنث سالم أو جمع تكسير، وهذا الأخير أكثر شيوعا في لهجة قسنطينة أحاول إيراد بعض منها من خلال ما ورد في الأمثال الشعبية:

1- صيغة "فْعَل" كما المثل:"اللي تمنْ فالراجل تَنْدبْ بلحجر حافيْ".

2-صيغة "فْعُول" كما في المثل صَلاّي لَعْيود وشهادة لرْعودْ، جهنمّ خالدون".

3-صيغة "فْعَال" كما في المثل "صلاة القياد جمعة وعياد".

4- صيغة "فْعَايل" كما في المثل"زوج عجايزْ على برمة خبايز"، وأصلها عجائز(فعايل) وقد سقطت الهمزة وأبدلت ياء للخ

5- "مَفَاعل"كم في المثل:"وقن المنافع جيبو بونافع، ووقت الراحة طيشو الدرياس"، و هناك صيغ أخرى يضيق المجال بذكرها، والملاحظ أن الصيغ السالفة الذكر تبدأ كلها على اختلافها بكون أولها، وهذه قاعدة تجوزها اللهجة كما سبق قوله.

5.2التذكير والتأنيث:

المؤنث ما كانت فيه علامة التأنيث، لفظا أو تقديرا وهو على ضربين حقيقي وغير حقيقي وأما المذكر فهو ما خلا من علامة التأنيث لفظا وتقديرا، وعلى ضربين حقيقي ولآخر غير حقيقي.[2]

وعلاقة التأنيث:التاء، والألف المقصورة والممدودة.[3]

وقد اتخذت اللهجة في المثل الشعبي القسنطيني طريقة خاصة بها في تأنيث الأسماء وتذكيرها، وتكاد تكون التاء العلاقة الرئيسية للتأنيث في اللهجة، ومن بين الألفاظ التي وردت

1 شرح المفصل ، ص2

2 البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، أبو البركات بن الأنباري، ، ص63

3شرح الكافية، ج2 ص161

مؤنثة دون علاقة التأنيث، وفي المثل الشعبي يؤنثها بإلحاق التاء في آخرها نحو قولهم:"الكبدة تولد ..."كما يلاحظ وجود تاء تلفظ هاء في بعض الصفات مثل قولهم"الكلمة لمليحة خير من الذبيحة" وذلك في الوقف.

والملاحظ أن اللهجة تسير دوما في طريق التسهيل إما بالإسقاط أو الحذف أو الإنقاص، فبدل أن تكون لدينا ثلاث علامات للتأنيث:تاء، ألف ممدودة، وألف مقصورة، اقتصرت اللهجة في أغلب استعمالاتها على التاء.[1]

وهناك بعض الأسماء يقوى فيها التذكير والتأنيث في الفصحى، وهو ما يصادفنا في بعض الأمثال الشعبية كما في كلمة (الحال) نحو قولهم:"عَكىّ بومعكيّ يشوفْ لحالتُو تبَكّي"أي لحاله.

ويلاحظ من خلال الأمثال المدروسة أن هناك نوعا من التوازن في استعمال هذه الأسماء بالتأنيث والتذكير.

وعلى العموم فإن ظاهرة التذكير والتأنيث ظاهرة من أصعب الظواهر اللغوية التي واجهت الدارسين لتحديد طبيعتها، نظرا لاختلافها بظواهر أخرى زادت في تعقيدها فالملاحظ مثلا في بعض أسماء الأعلام الخاصة بالمذكر يوحي ظاهرها بأنها مؤنثة مثل(حميدة)، ولكن بمجرد تحريك الحاء بالفتحة يتحول الاسم إلى(حَميده)، ليدل على المؤنث وهذا ما يؤكد لنا قرب المؤنث من المذكر وأن ظاهرة الجنس مترابطة ولا يمكن الفصل بين المؤنث و المذكر.

1 ينظر:التطور اللغوي–مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1990:ص56

3. الظواهر الصوتية المتميزة في المثل الشعبي القسنطيني:

1.3.الانسجام الصوتي بين أصوات اللين:

1-الفتحة: تتحول إلى ضمة مما لة عندما تكون متلوة بصوت شفوي نصف علي مرقق مجهور هو الواو، نحو"الموت و لوخيدة".

2-وتتحول إلى كسرة طويلة ممالة عندما تكون متلوة بصوت غاري نصف علي مجهور و هو الياء مثل:"ضيف كل عام يسهل الذبيحة وضيف كل يوم يسهل الطريحة" وتمال أيضا الفتحة في الاسم المصغر الذي على وزن – فعيلة– بعد إسقاط ضمَة الفاء نحو:"طفيلة قل منك تخبز خبيزة خير منك"

وقال فتحة لام "على"عند دخولها على الضمائر، فيقال"عليه" بسكون العين و كسر اللام بدل "عليه"بفتح اللام و العين، مثل قولهم:"عليها ربي ماعطاش للدابة قرون"

3-تتحول الفتحة إلى حركة طويلة في الكلمات مثل:"اللي تمَن فالراجل تندب بالحجر حافي"

وهذه القوانين الصوتية تكاد تكون عادة في اللغات، وهل السبب في ذلك هو أن الفرد في نقطه يؤثر الانتقال من العسير إلى اليسير، وليس من سبيل إلى ذلك غير تقريب الأصوات بعضها من بعض، وجعلها متماثلة تطبيقا لمبدأ الاقتصاد اللغوي لتحقيق الانسجام الصوتي والتوافق الحركي.-vowelharmony[1]—

[2]وقد عرفت ظاهرة الإشباع في الفصحى في عصورها الأولى، حتى إن سيبويه قد أفرد لها بابا أسماه:"هذا باب الإشباع في الجر و الرفع"، وأسماه ابن جني ب"مطل الحركات".[3]

ونلاحظ لهجة قسنطينة نيابة الفتحة عن الكسرة، وأحيانا تبقى هذه الفتحة ولو تليها كسرة طويلة:"زيت/بيت/ سبيطار" فهل يمكن أن نرد هذه الظاهرة إلى الأصل العربي الفصيح؟

1 ينظر اللهجات العربية، ص:68، الأصوات اللغوية، ص178

2 الكتاب:4، ص202

3 الخصائص:121/3، سر صناعة الإعراب 29/1

2.3. ظاهرة التفخيم:

التفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل عل جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد.[1] وتتمثل هذه الظاهرة في مجموعة من الأصوات (اللام/الراء/السين/الذال..)إلا أن اللام لم يكن لها في كلامهم ضابط عام تمتاز به مواقع التفخيم عن مواقع الترقيق، فيضخم اللام إذا سبقه صوت إطباق عدا الضاد لتقارب مخرجيهما، نحو قولهم(صلاة القياد، جمعة وعياد)ويفخم الراء إذا كان مفتوحا نحو(هرب من عزرين طاح في قباض لرواح)أو مضموما نحو(رُمان) وتضم التاء في الأعداد المركبة لتصبح طاءً، مثل:الكيل طناش*) ويضم السين ليصبح صادا كما في المثل:سبحان الله لتصبح صبحان الله.

ويلاحظ أن هذه التغييرات الصوتية على مستوى نطق هذه الأصوات لا تظهر إلا عند النطق بها من قبل عينة قسنطينية تمثل المنطقة.

3.3. الإمالة:

وعرفت عند الخليل بالاجناح"[2] وهي في العربية:"عدول بالألف عن استوائه وجنوح به عن الياء فيصير مخرجه من مخرج الألف المضخمة و بين مخرج الياء" [3]

وتعرف عند اللغويين المحدثين بشكلها العام:الفتحة عند النطق بها كسرة، وقد أرجع الدكتور رمضان عبد التواب السر في الإمالو إلى وجود ظاهرة الهمس في الأصوات لأنه عسير النطق يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ثم انفراج هذه الأوتار فجأة وهذه العملية تحتاج إلى جهد كبير وقد سمع في منطقة قسنطينة قولهم:الله الهاء مكسورة بدل الله بسكون الهاء وهي ظاهرة بارزة.

1غانم قدورى الحمد ط الخلود، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، بغداد1986.ص:292

2 الكتاب :278/3

3 شرح المفصل، 54/9

4.3. ظاهرة الهمز:

تكاد تكون هذه الظاهرة ظاهرة اختلاف بين اللهجات العربية، بل بين اللغات من القديم فنرى بعض اللهجات تسعى لتحقيق الهمز والبعض الآخر يهملها، وأهل قسنطينة في أمثالهم يلجؤون لتحقيق الهمز وتسهيله في أغلب مواضع الهمز فيسهلونها إذا كانت وسط الكلمة فيقولون:"راس الفرطاس أقريب لربي"بدل "رأس الفرطاس قريب لربي" ويقولون:" المومن مصاب" أي المؤمن" وقولهم: "أللّي تمنْ" كما أنهم يحذفون الهمزة في الأسماء الممدودة نحو:هواء/هوا، الدواء/دوا، السما/سما ويقول المثل:"الهنا ساعة والبلا ساعات" وتحذف الهمزة في الأسماء الخمسة كما في المثل:"اخدم يا بو لولاد وخلي لقبرك شويا" وتحذف مع أفعال التفضيل كما في المثل:"طفيلة قل منك تخبز.." وتحذف الهمزة مع فعل الأمر في قولهم: كل/كولْ وبعضهم يحقق الهمزة فيقول آكل.

وتحذف الهمزة أو تبدل لاما إذا كانت متحركة أو ما قبلها ساكن بحيث تنقل حركتها إلى الحرف الساكن قبلها، وذلك في الكلمات التي تبتدئ بال التعريف، وذلك نحو قولهمّ:"الرجال والزمان ما فيهم لامان" وقد حكى الكسائي و الفراء أن من العرب من يقلب الهمزة لاما فيقول:"الحمر" في "الأحمر"و "اللرض" في "الأرض" كما يحذفون الهمزة المتطرفة التي قبلها مد كما في قولهم:"ألي جا في قسمو عضم يقول لحم ويسكت".

5.3. ظاهرة الإبدال:

الإبدال هو جعل حرف مكان حرف غيره إما ضرورة أو استحسانا وهو قسمان شائع وغير شائع، وحروف الإبدال الضروري يجمعها قولك:"هدأت موطيا" وحروف الإبدال من غير إدغام:أحد عشر حرفا فيها من حروف الزيادة ثمانية هي:الألف، الياء، الواو، الهمزة، النون الميم، التاء، الهاء.وثلاثة من غيرها: الطاء، الدال والجيم وهذه الحروف هي التي كثر إبدالها واشتهرت بذلك أما عداها فغير مطرد.

فإذا ما حاولنا تطبيق ذلك على عامية قسنطينة بزر لنا واضحا مخالفة القاعدة العامة في الأبدال في العربية الفصحى.

يقول المثل:"جوز على صاحبك بخسلة صابون.."فقد أبدلو الغين خاءً في كلمة "خسلة" أي "غسلة"وهو إبدال غير معروف في الفصحى كما أبدلوا الهمزة ياءً في قولهم: "الخاين ينغزوه مرافقو" بدل الخائن*.

إبدال التاء طاء في قولهم:"الكيل اطناش "

إبدال الذال دالا في قولهم:"لالاه مناه ندمْها نحالها رب من ذراعها وحطلها في فمها"ندمها/نذمها.

إبدال الثاء تاء كما في قولهم:"لاْه ترقو حتان تولي تتنيّ فيه"، تتنّي/تثنّي.

ولعل من أهم الظواهر اللغوية الافتة للانتباه في لهجة قسنطينة ذلك الخلط البيّن في نطق الصوتين"الضاد والظاد" حيث تبدل الضاد ظاد في كل الألفاظ التي ترد فيها الضاد، رغم كتابة اللفظة بالضاد وذلك في كل الأحوال وحتى بين أوساط المتعلمين والمثقفين، وقد تبين لي ذلك من خلال سماعي لأشخاص في أثناء جمع الأمثال من أفواه أبناء منطقة قسنطينة، وقد كانت المجموعة المروية تمثل عينة لذلك، وأذكر هنا نماذج كقولهم:"اللسان الحلو يرضع اللّبة"، و"اللي ضربتُ يدو ما توجعو"، و"الحر حر والخدمة ما تظر"..

وقد كان هذا الخلط واضحاً وموجودا في اللهجات العربية القديمة، ولعل السبب في ذلك يعود على حسب سيبويه إلى أن الصوتين يشتركان في بعض النواحي الصوتية، أو بعبارة أخرى كان وقعها في الآذان متشابهاً.

كما نجد أيضا أمثلة كثيرة لإبدال الذال دالا نحو قولهم:"لا عينك ضيفك تنكيه غربو وتربو ولهدرة كدّبو"، أي" كذّبو"، وقولهم "ضيافة الذيب لبلارج"، أي الذيب، و"ضحكت المدبوحة...."، أي:المدبوحة، أي:المدبوحة....و"اليدين مكسرين، والفم للودنين":أي الوذنين وقد ذكر صاحب المصباح المنير"أن الأكاف للحمار معروف...والوكاف على البدل وهي

لفة حجازية وينسب اليزيدي في نوادره صيغة الواو إلى أهل الحجاز، ومنه نستنتج أن:(الوذن) لغة حجازية، و(الأذن) لغة تميمية، وبالتالي فإن لهجة قسنطينة كانت موافقة للهجة الحجازية.

و لعل السبب في بعض ظواهر الإبدال ترجع إلى أخطاء الأطفال وانتقال اللغة من السالفين إلى الخالفين [1]ولهذا رأينا الأمثلة:ثوب، ثلج، ثعبان...تتحول إلى:توب، تعبان، تلج، وقد جاء مثل هذا عند العرب من قولهم:(وتن بالمكان يتن وتناًووتونا، إذا أقام به ووثنَ يثن وثنا ووثوناً أيضا، كما قالو:الختلة والخثلة لأسفل الوطن.[2]

وقد وجد مثل هذا الإبدال في أمثال كثيرة منها:"لاه ترقو حتى تولي تتني فيه"أي:تثني وقولهم:"اللولا اعسل والتانية ابصل والتالتة تحصل"أي الثانية و الثالثة، وقولهم:"ماتزاوجو حتى تماتلو" ويروى:غير تماتلو أي تماثلو، ويمكن أن يفسر هذا الإبدال تفسيرا آخر، لا على أنه من خطأ الأطفال كما مر، وإنما يفسر على أنه له نظائر في اللغات و اللهجات السامية الأخرى إذ نجد أن كل ثاء عربية تقلب أو تبدل تاء في اللغات الآرامية، كما تقلب شينا في العبرية، وسينا في الحبشية كما وجدنا أن الذال العربية تبدل دالاً أو زايا في اللهجات الآرامية، ولهذا تكون الابدالات من هذه الزاوية كالأصول المطردة، والقوانين الصوتية ويكاد يجمع الباحثون على أن عوامل عدة تتدخل في تطور اللغة فيّ أصواتها و حروفها من السالفيين إلى الخالفيين، منها التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق عند الإنسان، فإن لم يكن في بنيتها فعلى الأقل في استعداداتها بل هي تختلف عما كانت عليه عند آبائنا المباشرين، وقد صحب ذلك التطور في الأعضاء تطورا في أصوات الكلمات.

6.3. ظاهرة الإدغام:

ظاهرة من الظواهر التي تبرز ضربا من التأثير يقع في الأصوات المتجاورة، وقد عرفها ابن يعيش بقوله:"الإدغام معناه في الكلام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك

1أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث ، الناشر، الدار العربية للكتاب، 1983 ص354

2 علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع الناشر مكتبة عكاظ السعودية، ط4، 1983

من غير أن تفصل بينهما حركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد"[1] وقد عرف عند العرب باسم المماثلة والتقريب.

ولما كان غرض الإدغام التخفيف فقد لجأت العامية في قسنطينة في أمثالها الشعبية إلى إدغام ما ثقل على الألسنة طلبا للتخفيف أيضا، فقالو:"لخبر يجيبوه التوالا "والأصل يجيء به كما قالو:علاه ترققو حتا تولي تثنى فيه" أي تثني والملاحظ أن العامية القسنطينية تدغم كثيرا من الحروف التي لم تنص عليها الفصحى، أي الحرفان المتماثلان أو المتقاربان في المخرج، أنظر إلى قولهم:"لالة مناه نذمها نحالها ربي من دراحا وحطلها في فمها" فقد أدغم النون في الدال وهما حرفان متباعدا المخرج، وقد اكتفى بهذه النماذج على ظاهرة الإدغام، ولكن الملاحظ ان العامية القسنطينية لا تراعي قواعد الإدغام في العربية الفصحى مطلقا، وهي ظاهرة لافتة للنظر وتطلب وقوفا بالدراسة والبحث.

كانت تلك أهم الظواهر اللغوية التي صادفتني في دراستي للأمثال الشعبية في قسنطينة، حاولت من خلال ما تقدم أن أعطي إشارات بسيطة لتلك الظواهر محللة و دارسة –قدر الإمكان– ما توفر لدي منها وسوف تتضح تلك الدراسة أكثر حين الوقوف على التحليل الاجتماعي في إفرازات المثل الشعبي وهي النقطة التالية في الدراسة.

1 شرح المفصل مرجع سابق، ج10. ص121

الفصل الثالث:

سوسيولوجية المثل الشعبي القسنطيني

1. المقاربة اللغوية الاجتماعية:

المثل قول مأثور، موجز العبارة يتضمّن فكرة صائبة أو قاعدة من قواعد السلوك الإنساني أطلقه شخص من عامة الناس في ظرف من الظروف ثمّ شاع على الألسنة فتداوله الناس في المناسبات التي تشبه المقام الأوّل الذي قيل فيه نتيجة شغفهم بمثل تلك العبارات الموجزة المعبّرة عمّا يجيش في صدورهم ممّا لا ييسر لهم في أغلب الأحيان أن يحسنوا التعبير عنه. وللمثل مورد ومضرب، أمّا المورد فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأوّل مرة، وأمّا المضرب فهو الحال الذي نستخدمه فيه لمشابهته لقصّة المثل

1.1.المثل الشعبي من شفة المتكلّم إلى دفّة المعجم:

ويأتي المثل ليُراد به معنى آخر أعمق على سبيل التمثيل والتشبيه، فإن قال أحدُهم: (شاتي اللبن ومدرّق الطّاس) ظهر لنا معنى سطحي تظافرت الوحدات اللغوية في إيراده، وبإعمال الفكر بالانتقال إلى ما وراء تلك الوحدات اللغوية، ومحاولة استحضار المقام الذي قيل فيه فيمكن أن نتّجه إلى معنى آخر أعمق هو: الميل للشيء والإحجام في طلبه.

وتصادف الأمثال هوى في النفس وفي أفئدة الناس لأنّها الفضاء الرحب الذي يُتنفّس من أريجه في السرّاء والضرّاء وقد وصلتنا كثير من الأمثال وعرفناها من خلال مجالستنا للمسنّين اللذين استحلبوا الدّهر أشطرَهُ مُصوّرة إلى حدّ بعيد عقليات الناس وأخلاقهم وبيئاتهم الطبيعية والاجتماعية، فهي مرآة تعكس صورا ناصعة لحياة أمّة من الأمم على مدى فترات زمانية متباعدة، إذ يصلُح تداوها والاستفادة منها في كلّ زمان ومكان.

ويتّصل المثل أيضا بالحوادث الفردية، فيُبرز قدرة المثّالين الفائقة على تركيز الفكرة وإيرادها بأوجز عبارة متضمّنا حكمة صائبة تتمثّل بها العقول أو معنى رقيقا يشغف القلوب ويُذيب العاطفة ومستعمل المثلَ ينتقيه ليُجاري المقام الذي يعيشه والظروف المحيطة به.

2.1. المثل الشعبي خطاب معرفة واستجلاء التجارب.

لعلّ الوصول إلى انتقاء مثل للتعبير عن فكرة من الأفكار لا يتأتّى بيسر بل يتطلّب إعمالا للعقل وتركيزا خاصّا يستدعي خبرات حياتية فردية كانت أو جماعية بل قد يتعدّى الأمر إلى أكثر من ذلك ليصل إلى حدّ تفاوت درجات تأثير المثل الواحد على مستعمليه قد عاش ظرفا مشابها لضرب ذلك المثل، وهو ما يُفسّر أيضا مدى اختلاف نفاذ المثل في

النفس البشرية عند الناس فكرا أو عاطفة أنظر إلى قولهم:(الخو خو مرتو وكي يموت يغيض ختو)أ يستجيب له المتلقّون استجابات متشابهة؟

ويُعدّ المثل العامي مظهرا من مظاهر الثقافة الشعبية لأنّه يُمثل عقليته ومستواه الحضاري وحنكته ونضجه كما يُبرز طريقته في الكلام بإيراده المعاني المركّزة رفيعة كانت أم دنيئة بأوجز عبارة وأخصر لفظ، ولعلّ مورد المثل دليل على سمُوّ تفكيرنا ذلك أنّه يحيط في أغلب الأحيان بكلّ صور الحياة حيث يسمو في معناه سموا يقرّبه من الحكمة بل قد يجعله لأَنْ يَكون قانونا من قوانين الحياة .

إنّ الكلام العادي هو الذي يعتمد الأسلوب أو الطريقة التي يتّبعها المتكلّم (كاتبا مثلا) لتقرير الحقائق وإبانتها قصد الإفادة والتبليغ فقط وعناصره هي: أفكار وتعابير بسيطة تأخذ ألفاظها من قاموس اللغة المشترك الذي تفهمه الفئة التي يُوجّه إليها الخطاب.

أمّا الأسلوب الأدبي الفني فهو الطريقة التعبيرية التي يسلكها الأديب لعرض أفكار وحقائق بجملة من العناصر هي: الأفكار والعواطف والصور والخيال والتعبير الأنيق، ويدخل ضمن كلّ هذا ألوان من الإبداعات الأدبية الفنية التي تعتمد التعبير عن التجربة الإنسانية أو حادثة من الحوادث...

ولعلّ المثلَ كأسلوب فني متفرّد مختلف عن هذين الأخيرين (الكلام العادي والأسلوب الفني الأدبي)، ويتّضح ذلك من خلال نماذج من الأمثال الشعبية بعد تحليلها وتفكيك العناصر اللغوية المؤلّفة لها، واستجلاء للظروف الاجتماعية التي أحاطت بقائلها قدر الإمكان لكون ذلك أحد العناصر البارزة التي تعتمدها بعض المدارس اللغوية للوصول إلى المعاني العميقة التي يتضمّنها النصّ اللغوي .

3.1.المثل الشعبي فكر يتجدّد في حقب تتعدّد .

يقول المثل الشعبي في منطقة قسنطينة (ما يبكيلك غير شفرك وما يندبلك غير ضفرك)[1]

والمثل في الفصحى (ما حكّ جلدَك مثلُ ظفركَ) وبمقارنة بسيطة على مستوى المعنى السطحي للمثل في العامية والفصحى يظهر أنّ المثلين قد قيلا في مضرب واحد هو الدّعوة إلى لاعتماد على النفس، ونبذ التواكل وقد اعتمد المثل الفصيح لإيصال المعنى الذي

1- تنطق ضادا كما هو مرسوم

يحمله جملة من العناصر اللغوية تدخل ضمن نمط من أنماط العربي الفصيح، والفعل "حكّ" يعني في العربية الفصحى:إمرار جرم على جرم صكّا[1]، وهذا ما يُبرز لنا الطبيعة الاجتماعية، أي الحياة الاجتماعية التي كان يحياها العرب قديما ونوعية معاملة بعضهم بعضا فلا يدلّنا المثل على تجربة حياتية فردية، بل يُحيط بظواهر اجتماعية معيشة قد لا تقتصر على فترة زمنية معيّنة تكمن في معاملات الناس بعضهم لبعض في ناحية أو نواح من الحياة المختلفة .

إذن فالسياق الاجتماعي يُبرز صفة الجفاء والأثرة وغياب التكافل الاجتماعي وعدم الإخلاص والنفاق بين الناس حتى وإن حصل التوادد فلن يكون نقيا مخلصا، فكلّ هذه المعاني وإن كانت تبدو بعيدة عن علامات المثل، فإنّها تدخل ضمن الدلالة الكلية لنصّ المثل، لتكشف من خلال تناول العناصر العلامية المكوّنة للمثل في ترتيبها وفق نسق متعارف عليه اجتماعيا ؛ "فالظفر" وُجد فطرة لأداء وظيفة أو وظائف متنوعة لعلّ أبرزها هي "حكّ الجلد" أي أنّ الوظيفة المهذّبة والأساس الذي يتبادر إلى الذهن بمجرّد ذكر "الظفر والجلد" هي "الحكّ" وهي علاقة ذهنية رابطة بين العضو ووظيفته عند كلّ إنسان .

وفي المثل تعبير صريح عن تجربة أجيال قد تُهمّش وتختفي لتَظْفرَ في الأخير بالحكمة التي ساقها المثلُ، فلا يَهُمّنا مثلاً أن فلانا في وقت ما أحسَّ بحاجة إلى من يحكُّ جلده فبحث حتّى أضناه البحث، وفي نهاية الأمر اهتدى إلى ظفره ليشفي به غليله، ومن ذلك أطلق قوله فأصبح مثلا سائراً .

إن المثل يسمو على الفرد (قائله) كما يسمو على المجتمع في آن واحد، وهذا السمّو يكتسبه من خصوصية ينماز بها المثل الشعبي عنْ بقية أنواع الكلام، هي (اللاعلامية): كما يسميها "**ايميل بنفينيست**"[2] وهي التي تمنحه الطبيعة الوجوديّة التي تجعله يعبّر عن المعنى نفسه عبر أجيال وأحقاب وأماكن متباينة ومختلفة ولا يفقد معها ثقله ومغزاه وأصالته في التعبير عن تلك المعاني التي وضع لها أول مرة .

---

1 – اللسان "حك"

– اميل بنفينست لساني فرنسي ولد بمدينة الب سنة 1902 وتوفي 1976، مؤلف العمل الكبير حول اللغات 2الهندواوروبية.

لنُحَلِلَ بعد هذا و نَدْرُسَ المثل العامي في ضوء هذه المعطيات، فنلاحظ أولا ذلك التغيير في إيراد العناصر اللسانية داخل النظام، فالمثل الشعبي يورد عناصر لسانية تتجه إلى خدمة المعنى أكثر فأكثر كما تبرز التجربة المعيشة من خلال الظلال التي توحي بها تلك العناصر اللغوية المنتظمة بدقة متناهية ولا يعني ذلك أبدا إصباغ صفة **الصنعة** على المثل الشعبي، لأننا لم نسمع يوما **بصناعة** المثل الشعبي ولأن المثال يرسل مثله على سليقته النفسية الشعبية معتمدا في ذلك على ثقافة بسيطة اكتسبها من خلال تجربته في الحياة التي جعلت عبقريته تتفتح فتنتج المثل الشعبي .

وإذا كان لابد من الصنعة في المثل الشعبي، فإننا نكتشفها من خلال ذلك التنسيق المتناهي بين التعبير عن التجربة كمعطي لغوي وترجمة الواقع كمعطي سيكوسوسيولوجي، أي أن المثل الشعبي لا يصدم السامع بأسلوبه كنسق من الوحدات المنظمة بطريقة مغايرة للكلام العادي وإنما بقدرته على استجلاء العلاقة الموضوعية القائمة بين الواقع المحدد بالزمان و المكان ومختلف التغيرات الإجتماعية والنفسية الأخرى.

4.1. المثل الشعبي لغة تتمرّد على قواعد تتحدّد

وفضلا عن ذلك فإن المثل الشعبي لا يسعى إلى تهذيب الأسلوب باستعارة ألفاظ رنّانة بقدر ما يهتم بنقل التجربة الشعورية المعيشة بكل حذافيرها، –بل وأكثر من ذلك– كما تهيأت في الواقع ويزيد في شدة التركيز، حتى وإن كانت المعاني غير مستحبة فهي واقعية، وهذه الصفة أي:صفة الواقعية هي التي تذهب بالمثل الشعبي مذهبا آخر يختلف عن المثل في الفصحى، لا من حيث البناء الغوي أو التركيبي إذ لو نظرنا إلى العناصر المكونة للجملة في المثل الشعبي لا نكاد نميز فرقا بينهما، فالتركيب يكاد يكون نفسه في النوعين كليهما من الكلام ولا من حيث انتقاء الألفاظ الموظفة لخدمة المعنى، بل من حيث الصدق الشعوري، ونقل المعاناة الإنسانية النفسية أينما تكون وكيف ما تكون حية ناطقة.

أُنظر إلى المثل الشعبي:(مَا يَبْكَيلَكْ غير شَفْرك وما ينْدبلكْ غير ضَفركْ) لتبيّن تلك النزعة إلى الخروج عن المألوف الشائع بين الناس من وظيفة الأظافر كما أبرزها المثل الفصيح "الحك" حيث تضيف العامة أمرا مهما استقته من خلال التجارب الراهنة، فالعامّة لا تتحرج

من إيراد كل المعاني رغم قساوتها أو قبحها أو عدوانيتها، فالنّدْبُ[1] معناه: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، وهو فعل مشين غير مستحب يحدث آلاماً وأوجاعاً و يترك آثاراً أزلية تشوه وجه صاحبها، ورغم كل هذا فإن المثل يحيلنا إلى طبيعة البشر في تعاملهم مع بعضهم البعض، إذ لا يحبٌ المرء خدمة أخيه ولو كان في خدمته تلك مضرّةُ للمخدوم، مجرد بذل جهد مهما كان نوعه (مضراً أو مفيداً) يحضُر بين الناس، وهذا ما يجُرّنا إلى الاعتراف بميزة من مميزات المثل الشعبي بأنه يورد المعاني مركزة مكثفة تضم عدة مظاهر في الحياة فلماذا لم نجد الفعل (حكّ) كما في الفصحى ووجدنا بدله الفعل (ندب)، أو(يندبُ)؟ لأنّ التركيز والتكثيف في المعاني أحد مميزات المثل الشعبي لتقديم صورة ناطقة لهذا الأسلوب الجديد في العرض لوضع القارئ أمام زخم هائل من هذه المعاني التي تحمل تجارب أجيال وأجيال ذوتْ قبله، فيُغْنيه الإطّلاع على هذا المثل مَشَقَّة البحث والتنقيب عن أصول المثل ومضربه وقائله– إن وُجد– إذ لا يهتمٌ بما سلف بقدر ما يهتمٌ بالحكمة التي يتمخَّض عليها المثل وهنا يجد القارئ نفسه أمام أسلوب لم يتعوَّدُه فيحدث له ذلك الاصطدام وتعرف بالتالي طريقها إلى قلب القارئ لذةٌ لا تُضاهى، إذ كانت النفس تعشق كل غريب جديد علما بأن الأفكار معلومة لديه، وإنما طريقة صيغها و كيفية عرضها اختلفت، فأنتجت تلك الجدة، وذلك التأثير غير المعهود.

كما يلاحظ أيضا الزمن الذي يستغرقه الفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار والتَّجُدد – يَبْكيلك/يَنْدبلك –وكأنما المثال يدرك إدراكا كليا بأنه لن يأتي اليوم الذي تتحول فيه الطبيعة البشرية وتتقلب آيات الكون ليَبْطُلَ مفهوم المثل كما قاله ولكنه واثق أن الطبيعة البشرية واحدة مستمرة و متماثلة في النفس الإنسانية ومتجددة في كل جيل، ولهذا أورد الزمن المتجدد المتمثل في فعل الاستقبال ليدل على الدوام بينما في الفصحى نجد الفعل على صيغة الماضي "حك"، وبهذا تتحقق لدينا نظرية اللاعلامية من أن المثل الشعبي باللاعلامية، فلا يحدٌه زمان ولا يحتكره شعب من الشعوب دون الآخر، بل إنه عالميٌ عام.

والمثل الشعبي –كما أسلفنا الذكر– ليس كغيره من أنواع الكلام، فهو يتميز بطريقة مستقلة في التعبير والإنشاء، ويرسم لنفسه طريقا آخر يبتعد بقدر ما عن المألوف عن العرب،

1 – اللسان (نَدَب)

فأسلوبه متفرد، وكثير منه يتّسم بروعة التشبيه، حيث يُمثل مع مضربه استعارة تمثيلية، يستعار المثل، من مورده إلى مضربه وهو الموقف الجديد فحين نقول:"ما يبكيلك غير شفرك..." ونتمثل به في موقف جديد نكون قد استعرنا الحكاية الأولى التي قيل فيها للموقف الجديد الذي استشهدنا به لأجله، فقائل المثل عبّر عن البكاء فلم يورد مباشرة الحاسّة التي تقوم بوظيفة البكاء ألا وهي العين بل حذف المشبّه به وأبقى شيئا من لوازمه ليدلّ عليه على سبيل الاستعارة المكنية، والمثل كلُّه كناية واضحة على أنّ المرء يتكفّل بهمّه بنفسه ولا يرجو من أحد أن يحمله عنه.

والمبالغة في هذا المعنى واضحة جدّا في الشطر الثاني من المثل، وهي مبالغة تدعو إلى التعجّب من حال الدنيا والناس فيها، ولكن رغم هذا فالمثل بألفاظه وعباراته فيه نقل صادق للواقع .

5.1. المثل الشعبي قصّة قصيرة جدّا ناقلة الخبر أبا عن جدّ

ويقول المثل الثاني: "ضحْكتْ المسلوخة علمدبوحة ماتت لمقدّة بالضحك" يُبيّن لنا المثلُ أنّ الناس يضحكون باستهزاء على عيوب غيرهم متناسين عيوبهم التي قد تكون أظهر لدى الناس، وكأنّه كلّما كان العيب أفدح كان صاحبه من الشعور به أبعد.

فقارئ المثل يدرك أوّل وهلة تلك الدقّة المتناهية في التعبير عن هذا المعنى الدّقيق جدّا، فقائل المثل قد اهتدى إلى ثلاثة نماذج من الناس في هذه الحياة، ومعروف لدى الجميع بأنّ الناس ليسوا على درجة واحدة من الكمال أو النقصان، بل يختلفون في صفاتهم فمنهم الجميل ومنهم الذّميم ومنهم المتواضع ومنهم المتكبّر، ومنهم المتخلّق ومنهم المستهتر... ولعلّ المثل قد أحصى هذه الصفات كلّها ولم يهمل منها واحدة ولكنّه عند صياغتها لم يأت بألفاظ تدلّ على صفات في الإنسان وإلّا كان المثل مجرّد رصد لهذه الصفات وإنّما جمع ثلاثة نماذج من الناس وصوّرهم على شكل شياه"" –جمع شاة– جعل الأولى مذبوحة، وتمثّل النوع الأوّل الذي يأتي في الدّرج الأوّل من سلّم المفاضلة، وجعل الثانية مسلوخة وتمثّل النوع الثاني الذي يقلّ عن سابقه ولا يرقى إليه، وجعل الثالثة في أوضع درجات سلّم المفاضلة أي:"مقدّة" مع الملاحظة أنّ النماذج الثلاثة لا يخلو أحدها من عيب يلازمه، وجعل هذا العيب ملازم لأنّ كلّ نوع لا مناص له من التخلّص منه، إذ أنّه قد أُفرغ من القوّة التي تيسّر له ذلك، فالأولى مذبوحة، والثاني مسلوخة والثالثة مقدّدة، ورغم هذا

فلم تتورّع الأدنى من السخرية من العليا، ولا الوضيعة من السخرية منهما الاثنين، وهذا منتهى الاستهتار وقلّة الأدب واللامبالاة بما في المرء من تطاول على غيره.

وانظر إلى قائل المثل كيف مثّل لنا فكرة: أنّه كلّما كان عيب المرء أفدح كان شعوره به أبعد فالتناسب بيّن الشعور بالعيب، وبالتالي معالجته، وبيّن أنّ سرعة المرء لتدارك ذلك لا يكون تناسبا طرديّا وإنّما يكون تناسبا عكسيّا، ومنه لا تكون هناك معالجة ويتمادى المرء في تطاوله وتناسيه عيوبه.

وروعة المثل تبدو لنا في هذه الاستعارة التمثيلية التي توقفنا على قوّة التّمثيل، بحيث لا ينطبع المعنى المراد في ذهن المتكلّم بطابع العموم والشمول إلّا إذا عرف كيف يختار ألفاظه وعباراته، والتزم باستحضار جميع المعينات المقامية التي تساعده على تجلية المعنى، فالذّبح والسّلخ ثمّ التقديدُ لا يكون إلّا للشّاة فهي التي تمرّ بهذه المراحل كلّها، وفي كلّ مرحلة تكون أقصر على إدراك ذاتها، وإصلاح أمرها وهنا يبدأُ العدّ التنازلي بالنسبة لها ومع ذلك لا تتورّعُ.

فقائل المثل –إذن–استحضر المقام الأنسب لإيراد معناه (الشاة)، ثم خلع عليها جميع الصفات المتكررة عليها والمتداولة، ومن الناس من هم كتلك الشاة فكانت الروعة في التشبيه والدقة في التعبيرّ، والتركيز في التمثيل وإذا عدنا إلى مورد المثل استحضرنا قصة ثلاث شياه إحداها مذبوحة، والثانية مسلوخة والثالثة مقددة و نتخيل تلك الضحكات و السخرية بينهنّ وأما المضرب فهو الموقف الجديد الذي استعدنا لأجله الحكاية القديمة لأجل الاستشهاد بها و تعزيز الكلام.

والمثال هنا يبرز لنا سحرا في التفكير وحنكة ونضجا في الرأي، كما يظهر لنا عقليته وطريقته في الكلام بإيراده للمعاني المركزة رفيعة كانت أم دنيئة وإصابته للمعنى بأيسر لفظ موصل للهدف من أقرب السبل.

والمثل كلُّه استعارات توحي بها تلك القرائن الدالة على المشبه به من فهمنا للمعاني:الذبح والسَّلخ والتقديد.

2.المثل الشعبي خطاب تأسيسي :

حين يعلو صوت الواعظ:"اخْدمْ ياَ صغْري لكبْري واخدمْ يا كبري لْقبري" يسعى الناس أن يرتزقوا ويدّخروا في آن واحد، لأجل العمل الصالح استعداداً للقاء ربهم وبذلك يكون المثل هنا ساهم في ترسيخ المبادئ السامية في قلوب الناس، وهذا الشرح هو المفهوم العام لمعنى المثل كما هو معروف أو كما اتفق عليه في السياق الاجتماعي، لكن إذا درسنا المثل من الناحية الدلالية أو بعبارة أخرى ندرس المعنى نفسه داخل سياق النص كله، فسيظهُر لنا أمرا آخر أعمق من المعنى الظاهر من خلال تركيب معين لعلامات لسانية أفادت معنى معيناً.

إن المثل هنا أبرز لنا فلسفة عميقة للحياة وفهماً دقيقا لنفسية الإنسانية تنم عن تسلسل الوجود وتتابع الحياة، فما نحن عليه قد يكون أساسا لما سنصبح عليه غداً ولهذا وجب علينا أن نتهيأ لاستقبال هذا الغد المجهول فحياتنا الحاضرة هي لاحقة بدورها لحياة أخرى مضت قبلها وسابقة لحياة ستأتي بعدها والحياة الآتية بعدها ستصبح بدورها سابقة لحياة أخرى، وهكذا بلا نهاية نزرع في هذه الحياة ما جنيناه في حيلة سابقة ثم نحصد ما زرعناه في هذه الحياة لنعود ونزرعه في حياة بعدها، فنحن الحقل ونحن الزارعون ونحن الحاصدون ونحن الحصاد...[1]

فالمثال إذن قد رسم بجملة قليلة من الكلمات لوحة لدورة الحياة من خلال ثلاثة ألفاظ لها دلالاتها العميقة التي تفصح عن هذه الفلسفة وعن تلك التجربة النفسية، فالحقل هو الإنسان والزرع هو عمله والحصاد هو نتيجة عمله في دنياه التالية ويقابل ذلك في المثل الإنسان(صغري) والزرع (كبري) وعمله (دنياه الأولى) ودنياه التالية هي (قبره)، إنها معادلة الحياة في كلمات معدودة ويا لها من معادلة طرفاها الإنسان الذي يزرع ويحصد ونتيجتها الجني والحصاد، بل إنه هو الزرع وهو الحصاد.

ومن أظهر الأمور التي قد لا ينتبه إليها المثّال والتي قد تخفى عنه روعةُ كلامه ورقتُه، وثقله في فترته التي قيل فيها ولكن بمرور الزمن ومع تطور الأساليب العادية في الكلام يكتشف المتحدث أو ناقل المثل المستشهد به في المضرب بأنه تراث فني رائع جدير بالدراسة والامتثال، فحين يُشْكلُ علينا التعبير في موقف ما من مواقف حياتنا نرجع إلى

1 – ينظر الغربال، ميخائيل نعيمة ، الناشر:المطبعة العصرية لصاحبها إلياس أنطوان إلياس بمصر 24 نوفمبر2019م.

الحفر في تضاريس ذاكرتنا الشعبية ونقلِّبُ في صفحاتها حتى نعثرَ على ذلك الأنموذج الفريد من الكلام، و الذي يسعفنا في موقفنا فنُعبِّرُ به عمّا يَجيش في نفوسنا فنَبْلُغُ في القول و نُوَفِّي حاجتِنا من التعبير ونعطي المستمع تفسيرا مقنعا وواضحا يستفيد منه، وتطمئن له النفسُ وتنعمُ بدفئه .

وفي المثل الشعبي إبداع هو درجة في التميز والابتكار، متفّرد فنياً وقد بلغ مقاما من البديعية التي تقوم على الوفاء بالمعنى، وهذا المقام ليس وجها لتحسين الكلام بقدر ما هو الكلام نفسه والمعنى هنا لا يعني معاني الألفاظ المفردة المكونة للمثل، بل يعني الموضوع الذي يتحدث فيه المثَّال، والوفاء به يعني كيفية إبرازه وصياغته صياغة فنية شائقة .

ويُميِّز المثل أيضا ذلك التناغم بين أصواته وحروفه، وهذا التناغم يحدث إيقاعا فنيّاً رائعاً وهو الذي يُقيمه المثَّال بينه و بين نفسه، ثم بينه وبين المخاطَب عن طريق الموضوع ويُكونُ أيضا تلك الموسيقى المنبعثة من داخل الصياغة فهو ليس نغمات مكرَّرة فقط بل هو تصوير لجوّ المعنى طلبا للتواصل المستمر والمتجدد بين المثَّال والمتلقّي والموضوع.

فعندما يقول المثَّال:"**مَا يْحسْ بالجمرة غير اللي عَافسْ عليها**" يريد أن يقيمَ جوًّا من المعاناة يصل بينه وبين المتلقي، وعندما يقول:"**الي تمن فالراجل تنْدبْ بلحجرْ حافي، راسو عند راسو قلبُ مبدَلْ بخلافي**" يَرِد المثَّل على لسان هذه المرأة التي غُبنت في زوجها فهو يُقيم جوًّا من المعاناة والمأساة الداخلية التي تؤرقها وتَصِلُ بينها وبين المتلقي عن طريق الإيقاع الممطوط الحزين اليائس، وهي بهذا تكون قد وفَتْ بالمعنى إذ قدمته في صورة دقيقة، وبإيقاع مناسب.

وإن موسيقى المثل تنبعث أيضا في أغلب الأحيان من خلال تجاور أصواته وحتى المزاوجة بينهما بحيث لا نشعر بذلك التنافر، بل نحسُّ بالانسجام و التوافق وهذا عن طريق اختيار الأصوات متقاربة المخارج مُتَّفقة الصفات وذلك بحسب طبيعة الموضوع الذي يريد المثَّلُ أن يتحدث فيه .

فللحروف دور فعّال في إبراز الموسيقى الدّاخلية، فهو حين يقول:

"أنا حشيشة طالبة معيشة" و"من شافك يا قميحة في قاع الطّريحة" و"أنت حبولة وأنا حبولة ومن يقطّع هسْبولة" .

يُعبرُ بهذه الأمثال عن الضعف وقلّة الحيلة والهوان في الدّنيا، ليس الهوان الذي يُولّد الذلّ ولكن الهوان الذي يتولّد عنه التعفّف، فاختار لذلك أصوات الهمس كالسين والشين والحاء والفاء التي تتميّز بالليونة بالإضافة إلى هاء السّكت التي تكثرُ في اللهجة وتعوّض تاء التأنيث المربوطة –في أغلب الأحيان–

إنّ الأمثال الشعبية تجعلنا نقف أمام تراث مدهش من فنون القول وما يوشّيه من ألوان الزينة البديعة وما يُجلّله من صنوف البيان الراقي الذي يخلَعُ عليه حلّة جديدة من حلل الفنون التعبيرية، وكثيرا ما تُصادفنا هذه المميّزات في أمثالنا الشعبية وكأنّنا أمام فنّان درس كلّ ما يتّصل بنظريّة الجمال والفنّ في أحدث المدارس العالمية المعاصرة، فهو يُعطي عناية لصياغة مَثَلَهُ موافقا للموقف مع مراعاة جوانب الرّشاقة في قول والأناقة في التعبير مهما تكن طبيعة المَثل من سلّم الجمال والقبح، فهو يُعبّر عن الجمال بجمال وعن القبح بجمال أيضا.

وكأنَّه يدرك النظريات الجمالية الحديثة التي تقرُّ بأنَّ قي القبح جمالاً، وفي الرقص والبكاء تعبيراً عن فرحة عارمة أو بهجة عظيمة، وكما يقال: "قد يرقصُ الطيرُ المذبوحُ ألمًا".

وما خلَّفه لنا تراثنا الشعبي في هذا المجال كثير لا يكاد يُخفى ويحصى، إنَّ في الضعف قوة كما أنَّ في القبح جمالا، فالمثَّال حين يقول:"**العود اللي تحقرْ هو اللي يعميك**" يُقر حقيقة انتهى إليها من طول تجربة ومراس، إذ تُأكَّد له أنّ الإنسان مهما وضُع وحقُر واستُصْغِرَ شأنُه وظنَّ الناس أنَّ الضَّعَةَ قد كُتِبتْ عليه، وأن الذِّلة قد ضُربت عليه فهذا هو نصيبه من دنياه، وإذا به يفاجئ الجميع بقوة استمدَّها من ذلك الجبّار، وصوْلة اكتسبها من ذلك الصوّال، وهيمنة انتزعها من ذلك العظيم، فبعدما كان عودا ضعيفا مرميا في خضمّ كومة أعشاب يابسة لا شأن لها، أصبح اليوم شوكة توخز جلود من استصغروه، بل وتفقئُ تلك العيون المغرورة الطائشة التي لم تكن ترقبها إلا الضعة والحقارة، فتكون حينئذ نهضة جبَّار أفاق من نوم عميق ليخرج الكون لا نهضة عاجز فتح عينيه ليرى الموت أمامه.

وللتعبير عن هذا المعنى اختار المثَّال ألفاظا ومفردات دالَّة على المعاني الدقيقة التي توخاها من خلال المثل، فعندما استعمل "**العود**" قد أشار لصغير الشأن، ولا أَحَطَّ من العود الحقير في عين العظيم المُتَجَبِّر، واختيار كلمة:"**يعميك**" بلغت حداً من التوفيق، وارتقتْ قِمَّةً

من النجاح، فأصابت المعنى، فذلك العود الحقير لا شكَّ حاقدا على الناس، ومغتاظا منهم أشد الاغتياظ ولا يشفي غليله إلا الانتقام العنيف الذي يكون لهم عبرة.

إن الأمثال:"**على حاجتي نعيط للكلبة خالتي**" المداهنة والنفاق لقضاء الحاجة **و** "**جاجْ الزبالة ما يتربى فلقفاص** خسة الطبع وتعود القذارة والحقارة "**و** "**لا تكَبَّر من كان صغير ولا تعلف لدَّاب شعير، ولا تعيَّط لْمرتْ الرّاعي والخماسْ لالاَ**" الدَّعوة إلى إنزال الناس منازلهم **و** "**بات ليلة مع لجران صَبَّحْ يقرقر** التنصل عن الأصل وسرعة التطبع **و** "**ما يندبلك غير ظفرك وما يبكيلك غير شفركْ** خيبة من يتوكل على غيره "، **و**"**اكبر يا خروف وانطح بَابَاكْ**". نكران الجميل

وقد اختار المثَّال ألفاظا للتعبير عن تلك المعاني، ولكنها في بعض الأحيان قد تبدو غريبة وحشية وذات استعمال منفر، غير أنها موحية وهذا ما يعيبه البعض على اللهجة ويتحرجون من استعمالها لأنها لا تتحرَّج من التعبير بأقسى الألفاظ وأقبحها، ولكن غاب على هؤلاء أن اللهجة تستر تحت ثوبها الخشن السميك كثيراً من فلسفة الشعب واختياراته واعتقاداته التي لو حاولتَ أن تؤديها بلغة فصيحة لكنت كمن يترجم أشعاراً أو أمثالاً عن لغة أعجمية، خاصة ونحن نعلم أن الأمثال لا تُغَيرُ بل تروى كما هي .

إن التراث الشعبي عامة والمثل خاصة يلتصق التصاقا قويا بالحياة الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الشعب فيترجم بالتالي خصائص ذلك الشعب، وينقل مواصفات تلك البيئة، ومنه لا يمكن عدُّه أداة **تليه**، بل يجب أن نعلم بأنه يعني الاهتمام بعلم متكامل مبني على أسس عملية وواقع اجتماعي ملموس **متأت** من الإيمان بأن الشعب صانع التاريخ و واضع أسس الحضارة.

وإذن فالغاية من دراسة المثل الشعبي هي فهم وظيفته الاجتماعية في حياة الإنسان الذي عبر عن طريقته وبأسلوبه الذي يراه أكثر ملائمة لإيراده وفهمه، فالمثل الشعبي بعدِّه جزءا من التراث الشعبي(الفلكلور) ليس هو دراسة الثقافة الروحية للشعب بل إنه أكثر التصاقا بثقافته المادية بأوسع معانيها.

وإذا قلنا:إن المثل الشعبي هو المترجم للوضعيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فإننا نضع أنفسنا أمام سؤال مهم جداً:

ما وسيلته إلى تحقيق ذلك ؟

وما وسيلتنا إلى اكتشافه ؟

إن وسيلته هي التعبير، أي نقل هذه الظاهرة الاجتماعية وتلك بلغة معينة (شعبية)، وإن وسيلتنا إلى اكتشافها هي دراستنا لهذه اللغة .

إن التاريخ اللغوي بوصفه ظاهرة اجتماعية قديم جداً، وقد أقيمت دراسات ضافية لتفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال اللغة، وظهرت عدة نظريات لعدد من العلماء في علم اللغة الاجتماعي، ونحن إذ ندرس المثل الشعبي دراسة لغوية اجتماعية، فذلك لتبيان ما للشعب من قدرة على تكييف اللغة، وجعلها مطاوعة له للتعبير عن كل المعاني التي يريدها دون إخلال بها، ولعلّ أبرز خاصية أسلوبية تقابل الدارس للمثل الشعبي هي: الإيجاز، فالجملة فيه تكتفي ببعض المعينات اللسانية التي تؤدي المعنى، ونحذف بعض عناصر جملة المثل لقيام الدليل عليها، أو لأن الاستغناء عنها لا يؤثر في إيراد المعنى إيراداً موفياً مُبَلِّغاً.

ويبدو أن أهم دليل يقوم مقام العناصر المحذوفة من جملة المثل، هو الدليل الحالي أو القرينة الحالية، ويعرف أيضا بقرينة المقام أو القرينة المعنوية وليس لهذا الدليل وجود في اللفظ وإنما يُفهم من السياق فقط، فهو جملة العناصر والظروف الملابِسة للنص اللغوي، والتي لا يشك في مدى تأثيرها وأهميتها البالغة في تحديد معنى العبارة المنطوقة[1].

وقد عرف هذا الدليل عند علماء الغرب ببيان الحال، كما هو الحال عند العالم اللغوي فيرث الذي أبدى اهتماماً كبيرا بدراسة الجانب الدلالي الاجتماعي من اللغة.

إن سياق الحال عند "فيرث"هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، كالمنطوق وشخصية المتكلم و السامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وجدوا وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم أَ يقتصر على الشهادة (أي حضوره الموقف التواصلي)؟

أم يشاركون من آن لآخر بما يصدر عنهم، وكذلك العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالسلوك اللغوي... من انفعال أو ضرب من ضروب الاستجابة، وكذلك أثر النص

1 – يُنظر: محمد الصغير بناني النظريات الأدبية واللسانية والبلاغية للجاحظ من خلال البيان والتبيين.

الكلامي في المستمعين كالإقناع، أو الإغراء، أو الاستهزاء أو النصح والإرشاد والحكمة...وهكذا يتضح أن من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم و سائر المشتركين في الموقف الكلامي[1]

إن ما ذهب إليه علماء اللغة في الغرب واعتمدوه في أبحاثهم اللغوية لدرجة أن ظهر هناك اتجاه لغوي حديث يعنى بهذا الجانب من جوانب البحث اللغوي، يعرف بالدراسة اللغوية الاجتماعية الانجليزية، كان قد تنبه إليه علماء اللغة العرب قبل قرون خلت، بل منهم من اعتمده أساسا لدراسة بعض الظواهر اللغوية نحو ظاهرة الحذف، يقول **الرضي الاستبرباذى** في شرح الكافية:"لا يحذف شيء من الأشياء إلا لقيام قرينة سواء أكان الحذف جائزاً أو واجباً"[2]، والقرينة المقصودة هنا تشمل: الحالية والمقامية معاً فعناصر السياق متعددة وتعددها باعث على صعوبة تحديد المعنى لأنها تعدُّ جزءاً من معنى الكلام وذلك ما يحتم ضرورة الالتفات إلى فهم هذه العناصر والإحاطة بها قدر الإمكان، وخاصة منها شخصية المتكلم وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقة في أثناء العملية الكلامية .

إن عناصر السياق الحالي هي مجموعة الظروف الملابسة للموضوع والتي تعددت ذات أهمية قصوى في تحديد معنى العبارة المنطوقة، والأصل في المثل المشافهة (أي لغة منطوقة).

وتحذف من جملة المثل ألفاظ عدة بحيث تحصر الجملة في عبارة موجزة محافظة على دلالتها رغم فقدانها تلك العناصر المحذوفة، لأنّ الاستغناء عنها لا يؤثر في إيراد المعنى، فحين يقول المثّال:

"**القبايلي من غمزة والشاوي بالدبزة**" يكون قد اكتفى ببعض الألفاظ فقط لينقل عدة معان كانت سائدة أو سادت في فترة زمنية معينةّ، وبقيت آثارها قائمة فقد استعمل ألقابا أو كنايات طبقها المستعمر الفرنسي في الوسط الاجتماعي الجزائري إبان الاستعمار لخدمة سياسة (فرّق تَسُد) وقد قسم المستعمر الجزائر إلى ست مقاطعات صغيرة وجعل السكان في كل

1- يُنظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح وش: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.

2 - الرضي الإستراباذي، شرح الكافية، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العليمة ، بيروت ، 1982، ص:157.

ناحية معروفين باسم متميّز يعكس صفة خاصة، ولا تزال هذه الصفات تُميِّز سكان تلك النواحي عند البعض إلى يومنا هذا...

فالمثّال هنا قد استغنى عن كل هذه التفاصيل في مثله، ولكنه استعان بصفة المورد ليستعيرها صفة للمضرب في الموقف الجديد الذي يتمثل به ورغم أن المثل ينقل لنا وقعا سائدا ووضعية اجتماعية معينة وصفات مميزة لشخصية كل من الشاوي الذي يصعب ترويضه، و القبائلي اللين سريع المطاوعة وفضلا عن المعنى الذي يوحى به المثل من النباهة للقبائلي و الغباء للشاوي ورغم استغناء المثل عن كل هذه الشروح والبيانات إلا أنه أفاد المعنى وتبين لنا أنه قد فسَّر ظاهرة اجتماعية لغوية، فالجزائري الآن في أي ناحية من نواحي التراب الوطني عندما يقرأ المثل يفهم مباشرة معناه الأصلي لأنه عينة من الشريحة الاجتماعية الجزائرية وخاصة سكان الشرق الجزائري الذين يفهمون الظروف والملابسات التي تحيط بهذا المثل بالخصوص، فهم يفهمون أن هناك فعلا محذوفا يقدرونه وليكن مثلا(يفهم)، و(لا يفهم)، ولعل بقية العناصر المحذوفة المتمثلة في الظروف التاريخية التي تكون قد أفرزت هذا المثل لا يقف عليها إلا من كانت له دراية بتاريخ المجتمع الجزائري.

ومنه نستنتج بأن الدراسة اللغوية الاجتماعية تنصبُّ كما يبدو بالدرجة الأولى على محاولة اكتشاف العناصر اللسانية اللغوية المحذوفة، والتي يفسِّرها الدليل الحالي الذي وردت فيه.

والجدير بالملاحظة أن هذا المثل لا يفهمه إلا الجزائري المنتمي إلى البيئة الاجتماعية الجزائية، والذي يدرك معاني بيئته اللغوية الاجتماعية، في حين لو قرأه غير الجزائري قد لا يفهمه ولعلَّ هذا يرجع إلى اختلاف البيئة وتغيّر الموقف وهذا العجز كما يبدو في فهم الأمثال الشعبية الخاصة بقطر معين مازال يشكل صعوبة قائمة إلى يومنا هذا، وهذه الصعوبة تزداد في التعقيد والفهم يزداد في الإشكال وخاصة إذا علمنا أن المثل العامّي يتميز عن الفصيح بأنه لا يخصُّ الأمة العربية ككل وإنما يخص قطرا واحدا من الأقطار العربية.

ومن هذا جاءت الدعوة إلى أن يتخصص كل باحث في ميدان الأمثال بالبحث في أمثال قطره أولا إذ يصعب عليه دراسة الأمثال العربية في مختلف أقطارها.

خاتمة

بحثي هذا يَحسنُ بي أن أَقْفُوَه بخاتمة مناسبة مُلَخِّصة لكل النتائج التي توصل إليها البحثُ من خلال الدراسة والتحليل واستخلاص القوانين التي تحكم اللهجة والتي تبقى دائماً نسبية لأنها لا تعد أن تكون أحكاماً قد يرقى إليها الشكّ ذلك أن الظاهرة اللغوية ظاهرة حية متجددة تحيى و تنمو، ولا أزعم أن دراستي هذه يمكن أن تضبطها قوانين ومعايير لا تحيد عنها وهو ما يترك باب الاجتهاد مفتوحا للإثراء والتنميّة ولعل أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

1- الأمثال الشعبية في قسنطينة لا تفترق كثيرا عنها في المناطق الأخرى من القطر الجزائري، وهذا ما يؤكد اللُّحمة الوطيدة بين جهات الوطن رغم بعض الاختلافات في بعض الألفاظ المشتركة في الدلالة والمعنى .

2- من خلال هذه الدراسة صادفتني عدة ظواهر لغوية على المستويات الثلاث: الصوتية، والصرفية والتركيبية وقد حاولت تناول أبرز تلك الظواهر على النحو التالي:

أ- الظواهر الصوتية:

إذ تَكَشَّفَ لي أن اللهجة القسنطينية تختلف عن اللغة الفصحى في طريقة نطق بعض الأصوات، شأنها شأن اللهجات العربية الأخرى مفسرة سبب ذلك الاختلاف وفق ما قدمه علماء اللغة المحدثون .

والجدير بالملاحظة أن اللهجات العربية المعاصرة جلًّها تتفاوت في التصرف بأصوات اللغة على المستوى النطقي، وهذا الفرق فقط هو اختلاف في الأصوات التي يصيبها هذا الانحراف في النطق بالنسبة للحركات، فقد استوقفتني ظاهرة الإشباع والتقريب وكذلك الإمالة والإدغام و...حيث حاولت تفسير جملة من الانحرافات الصوتية في ضوء ما قدَّمه الدرسُ اللغويٌ القديمُ و الحديثُ.

ب- الظواهر الصرفية:

من الملاحظات الهامة في هذا الشأن أن لهجة قسنطينة لا تختلف كثيراً عن الفصحى في ألفاظها، وأن نسبة كبيرة من الألفاظ اللهجية عبارة عن ألفاظ وكلمات عربية أصابها بعض التحريف في الأصوات كالإبدال، والإمالة، والإدغام، والحذف، والإعلال طلباً للخفة واقتصاداً للجهد العضلي للجهاز النطقي ومن هنا يمكن القول إنَّ أيَّ دراسة للهجة هي دراسة لإظهار تلك التغيرات التي مرت بها اللهجةُ خلال فترات ومراحل زمنية معينة، ومن هنا تأتي الدعوة مُلحَّةً أيضا إلى ضرورة دراسة هذه اللهجات وتحليلها ومحاولة السمو بها إلى درجات الفصحى، أو التقرُب منها على الأقل لأنَّ تركَها هكذا دون دراسة يُهَددُ كيان الفصحى التي نَحرصُ جميعا على سلامتها وتطورها .

وقد حاولت من خلال تناول الظواهر الصرفية أن أقف على جملة من العلاقات التي تربط اللهجة باللغة الفصحى مع الإشارة إلى ما تنفردُ به اللهجة كالتثنية والجمع اللذين يتميزان بإضافة سوابقه نحو(زوج+الجمع) أو لواحقه نحو(يْن) في جميع الحالات .

ج- الظواهر التركيبية:

تعرَض البحث إلى بعض الأساليب العربية كالنفي والاستفهام والشرط باعتبار تلك الأساليب ظواهر بارزة في اللهجة إلى استعمالات خاصة، قد لا تصادفنا في الفصحى كما تناول البحث الجملة في المثل الشعبي وانتهى إلى أن عناصر الإسناد هي نفسها المتوفرة في العربية الفصحى وهو ما يكشف و يؤكد قرب اللهجة القسنطينية من الفصحى .

وقد تناول البحث في الفصل الثالث أساليب الكلام المتنوعة ليصل إلى تقرير حقيقة مفادها أن المثل الشعبي يتميز بأسلوب له خصائصه التي تطبع جلّ الأمثال الشعبية.

وتناولت في ثنايا ذلك نظرية (بنفيست)"اللاعلامية" لأخضع المثل الشعبي للدراسة في ضوء تلك النظرية.

كما استعانت بنظرية" فيرث"اللغوية، وتناولت جملة من الأفعال الشعبية بالدراسة من جانب الظروف الاجتماعية المتنوعة كعامل مساعد في كشف حقيقة النص اللغوي المدروس، إذ تنادي تلك النظرية بدراسة كل القرائن الحالية والمقالية المحيطة بالنص لتحليله وتفسيره تفسيرا يقترب من الحقيقة.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن ما تحدث عنه فيرث قد نادى به بعض اللغويين القدماء ووظفوه في تفسير ظواهر لغوية كثيرة كالحذف والتقدير والتقديم و التأخير...

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل الذي أتمنى أن يكون فاتحة عمل محتشم في حقل الدراسات"البراميولوجية" التي أقرّتها الباحثة كلودين شولي من خلال مسارها الطويل في البحث مثبتةً أن علماء الاجتماع في البلاد المغاربية قد استوعبوا ضرورة القيام بدراسة مقارباتية تفهامية حول المأثور الشعبي و لا سيما المثل الشعبي و التأكيد على قيمة هذا المتن في دراسة التحولات الاجتماعية و الاستماع إلى الثقافة و هي تتشكل.

ولا يفوتني أن أجدد شكري وامتناني لكل من أمدّني بيد العون من قريب أو من بعيد .

الملخص

يُعدٌ الخطاب التواصلي من أهم المرتكزات التي يتوكأ عليها علم اللغة بشقيه الفصيح والعامي والذي يرتقي بفضل كثافته الفكرية إلى مصاف الدوائر التداولية التي تشكلها لغته بوصفها ذات طبيعة تواصلية بحتة، و من هذا المنطق سأسعى إلى محاولة الإلمام بشتات التجربة الشعبية مُمَثلةً في عنصر مُهم من عناصر الإفصاح وهو المثل الشعبي الذي يُشَكلُ معظم التجربة الوجودية مختارا معطياته من داخل كينونة المثل إذ يصوغ خصوصياته الخطابية من تلك المعانات الشعبية.

ومن ثمّ يتسنّى لي الإلمام بالمعجم الشعبي والنظر إلى اللغة من حيث مغيباتها وبالتالي فهم الخطاب الشعبي من خلال حمولاته الفكرية التي تتطلّب فك رموزها اللغوية بنقلها إلى تأويلات دلالية تمليها مجرياتها وملابساتها في سياقاتها المختلفة.

الكلمات المفتاحية :المثل الشعبي، البنية التركيبية، الخطاب التواصلي، المقاربة السوسيولسانية.

Abstract:

Communicative discourse is considered one of the most important pillars on which linguistics relies, in both its eloquent and colloquial parts, which, thanks to its intellectual intensity, rises to the ranks of the deliberative circles formed by its language, as it is of a purely communicative nature. It is a popular proverb that constitutes most of the existential experience, choosing its data from within the entity of the proverb, as it formulates its rhetorical specificities from those popular sufferings and then I get familiar with the popular dictionary and look at the language in terms of its absences, and thus understand the popular discourse through its intellectual loads that require deciphering its linguistic symbols by transferring them to semantic interpretations dictated by its course and circumstances in its various contexts.

Keywords:

Popular proverb, communicative discourse, popular lexicon, intellectual loads, semantic interpretations

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المعاجم

محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي لسان العرب

الكتب

1. ا أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، لمنصف – شرح تصريف المازني – ط: 1، مطبعة الحلبي، مصر، 1373هـ .
2. إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط2، بلد النشر لبنان، تاريخ النشر1983 ببيروت
3. إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ط، 2004.
4. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، الناشر مكتبة أنجلو مصر–القاهرة
5. ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي،اللمع الناشر دار الكتب الثقافية الكويت.
6. ابن هشام، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مغني اللبيب من كتب الأعاريب، ط: 5، دار الفكر، بيروت، 1979م.
7. أبو البركات بن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث،
8. أبو الفتح عثمان بن جني الخصائص .، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
9. أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب . تحقيق: الدكتور حسن هنداوي ط 1، دار القلم دمشق، 1985م
10. أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني ، مجمع الأمثال،
11. إميل بنفينست لساني فرنسي ولد بمدينة الب سنة 1902 وتوفي 1976، مؤلف العمل الكبير حول اللغات الهندواوروبية.

12. جلال الدين السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدّين الخضيري جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده
13. جمال الدين محمد بن مالك الطائي، شرح الكافية الشافية، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .
14. حفني ناصف ، مميزات لغات العرب ط1، المطبعة الكبرى ببولاق–مصر المحمدية
15. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر
16. رمضان عبد التواب التطور اللغوي–مظاهره وعلله وقوانينه، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1990
17. سيبويه الكتاب .، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: 2، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1982 م .
18. عبد الرحمان التكريتي ، جمهرة الأمثال البغدادية، قسم الأمثال الشعبية، مطبعة الإرشاد.
19. قادة بوتارن الأمثال الشعبية الجزائرية، تروتح:عبد الرحمان حاج صالح، دار النشر:ديوان المطبوعات الجامعية /الجزائر 1987.
20. محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-تاريخ النشر 1994م.
21. محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، صحيح البخاري ، علوم الحديث، ط1، دار الفكر.
22. مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه، بلد النشر لبنان، دار النشر:دار الرائد العربي، تاريخ النشر 1406هـ 1986م، ط2
23. موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل. عالم الكتب، بيروت مكتبة المتنبي القاهرة.
24. ميخائيل نعيمة، الغربال، الناشر:المطبعة العصرية لصاحبها إلياس أنطوان إلياس بمصر 24 نوفمبر 2019م.

25. ميخائيل نعيمة، الغربال، مكتن النشر مصر،تاريخ النشر 1923

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

التبويب	الموضوع	الصفحة
مقدمة	**مقدمة**	**7-1**
الفصل الأول	**المثل الشعبي القسنطيني ومقاربته بالقصحى ولهجات عربية أخرى**	**21-8**
	مفهوم المثل الشعبي القسنطيني ومقاربته بالفصحى ولهجات عربية أخرى	9
الفصل الثاني	**المثل الشعبي دراسة لغوية**	**39-22**
1	الدراسة التركيبية	23
2	الأساليب المستعملة في اللهجة القسنطينية من خلال الأمثال الشعبية المنتخبة	26
3	الظواهر الصوتية المتميزة في المثل الشعبي القسنطيني	33
الفصل الثالث	**سوسيولوجية المثل الشعبي**	**54-40**
1	المقاربة اللغوية الاجتماعية	41
2	المثل الشعبي؛ خطاب تأسيسي	47
	الخاتمة	**58-55**
الملخص	**الملخص باللغتين؛ العربية، والإنجليزية**	**61-59**
المراجع	**قائمة المصادر والمراجع**	**64-62**
الفهرس	**فهرس الموضوعات**	**66-65**